المبحث الأوَّل: ماهيَّة اللغة

تمهيد:

تعتبر اللغة أداة تواصل بين البشر، فهي ظاهرة اجتماعية تستعمل للتواصل والتفاهم وتبادل المعلومات بين البشر، وهذه المعلومات يمكن إرسالها كما يمكن استقبالها بوسائل عدّة منها الكلام المنطوق أو الكتابة أو تعبيرات الوجه....

إنَّ كلَّ عملية لغوية تقوم على أطراف هي المرسل، المتلقي أو المرسل إليه، والرسالة أو الخطاب، وعملية المُرسل هي عملية الرموز، أمَّا عملية التلقي فهي تفكيك هذه الرموز شرط أن يكون الوضع مشتركاً بين المرسل والمتلقي عبر قناة معينة، ووظيفة المستقبل هي الوظيفة الإفهامية.

إنَّ اللغة تقوم أساساً على نقل المعلومات بطريقةٍ ما، أي بين مُرسلٍ ومُرسَل إليه، وبما أنه يوجد طرق عدّة لنقل الأفكار من مكان لآخر كالصوت والكتابة والإشارات واستعمال رموز خاصة بالشيفرة مثلاً فمن الطبيعي أن يكون التبليغ أوسع من اللغة، فاللغة ما هي إلا طريقة من طرق التبليغ ومهما اختلفت هذه الطرق فهي تقوم على خمسة أمور أساسية هي:

- مصدر أو مُرسِل
- منتهى أو مُرسَل إليه
- جهاز إرسال
- ممر أو قناة
- جهاز استقبال

ولابدَّ لكل عملية تخاطب أن تقوم على مُرسِل ومُرسَل إليه وأن ينتقل الخطاب من البداية إلى النهاية، ولابد أن يسلك الممر أو القناة ويُستعان بذلك بجهاز إرسال؛ وهو ههنا جهاز صوتي وعندما يبلغ الخطاب المنتهى هناك جهاز لاقط يستقبل تلك الرموز ويعيد صياغتها إلى الصيغة التي انطلق بها الخطاب من المصدر، أمَّا الممر الذي يعبره هذا الخطاب فهو الهواء الذي يشمل صلة الوصل بين المتكلم الصوتي وبين السمع.

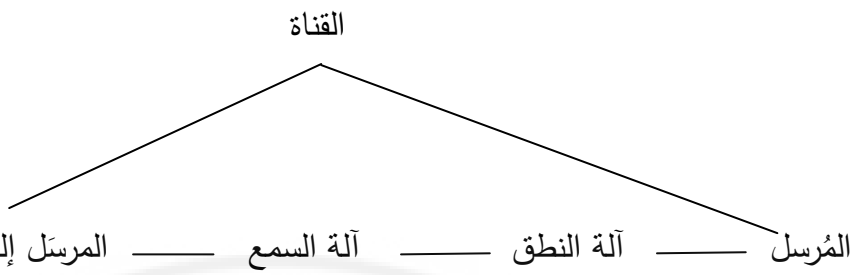

- القناة: هي المادة التي ينتقل فيها الخطاب أو التي تنقل الخطاب بكيفية من الكيفيات وهي الرابط المادي بين المرسِل والمرسَل إليه (الهواء، الكهرباء؛ تجري فيه الأسلاك التليفونية والبرقية..)
- المرسِل والمرسَل إليه: المرسِل هو الذي يبعث الخطاب، والمرسَل إليه هو الذي يتلقى الخطاب وهما قطب الدورة التبليغية وكلاهما يحتاج إلى آلة إرسال، وآلة المتكلم الجهاز الصوتي، وآلة المخاطب الجهاز السمعي.
- الوضع: مجموعة الرموز الدالة المتفق عليها للتفاهم والتخاطب بين قوم، فالمرسل يستوضح أي يحول المعاني التي يريد إبلاغها إلى رموز.

إن موضوع اللغة يعد من الموضوعات الهامة التي شغلت القدماء والمحدثين من علماء اللغة والكلام والطب وعلم النفس والتربية وغيرهم من العلماء في مجالات التخصصات الأخرى، وقد أكد هؤلاء جميعاً على أهمية عامل اللغة في القدرة على الاتصال والتوافق في النمو العقلي والفكري والاجتماعي، فهي وظيفة لأنَّ كلَّ كائن بشري طبيعي يستخدم لغته في الحديث والكلام من أجل الاتصال مع الآخرين أو التعبير عن أفكاره.

وقد قاد البحث في الطبيعة البشرية وخصائصها المميزة إلى التركيز على دور اللغة باعتبارها أكبر سمة تميز الكائن البشري عن باقي الكائنات الأخرى، هذا بالإضافة إلى علاقتها المتشعبة بالإدراك والفكر والوعي واللاوعي والسلوك والعلاقات الاجتماعية وغيرها من العناصر، وهي كلها عوامل قادت إلى ظهور عدة دراسات واتجاهات لغوية ونفسية وسيكولسانية وفلسفية واجتماعية اتخذت من اللغة موضوعاً لها ما أدى إلى وضع تعريفات متعددة للظاهرة اللغوية بشكل يكشف عن الاختلاف الكبير في زوايا النظر والمرجعيات المتحكمة في تحديد اللغة وطبيعتها، فعلماء الاجتماع يهتمون بالطبيعة الاجتماعية للغة ودورها في قيام مجتمع ما وفي تحديد أنماط علاقات أعضائه، وعلماء النفس يشغلهم أمر تأثير اللغة على مجمل مظاهر التنظيم السلوكي والعمليات النفسية المختلفة

كالإدراك والتفكير والذاكرة.... وهذا الاختلاف في تعريف اللغة ساهم في إغناء البحث اللغوي وكشف عن دور اللغة في بناء شخصية الإنسان ونمو قدراته الذهنية والمعرفية والتواصلية وغيرها من الوظائف التي تطلع بها اللغة.

فعلم النفس اللغوي: هو فرع من فروع علم النفس التطبيقي الذي يسلط الضوء على جانب معين من الظاهرة السلوكية في مجالات الحياة العلمية.

يعد علم اللغة النفسي من منظور علماء اللغة فرعا من فروع علم اللغة التطبيقي، ومن منظور علماء النفس فرعا من فروع علم النفس المعرفي.

ويمكن القول بأنه علم بيني، يتكامل فيه حقلا علم اللغة وعلم النفس، ويتطلب فهمه دراية بمجالات الفلسفة والتربية والتعليم والثقافة، وأيضا بآليات الجهاز العصبي والمخ والذكاء الاصطناعي.

ويحد علم اللغة النفسي بأنه دراسة تجريبية للعمليات النفسية التي يكتسب المرء من خلالها نظام اللغة الطبيعية ويقوم بتنفيذه. ويعالج هذا التعريف مشكلات، مثل: ماهية اللغة ووصفها موضوعيا وتحديد مفهوم العمليات النفسية ووسائل دراستها.

ويتميز علم اللغة النفسي بأنه يتناول اللغة من منظور علم النفس، أي أنه يعنى باللغة كظاهرة نفسية عند المتكلم والسامع على السواء. فيصوغ المتكلم أفكاره في عبارات يعبر عنها بالكلام، فيدركها السامع ويفهمها. كما يتميز بأنه يرصد العمليات الذهنية عند اكتساب اللغة أو عند استخدامها وعلاقة ذلك بالفكر والثقافة، فيعنى مثلا بدراسة العمليات التي يقوم العقل البشري من خلالها بربط الصيغة (مسموعة أو مكتوبة) بالمعنى من خلال وسيط وهو نظام اللغة.

وباعتباره فرعا من فروع العلم المعرفي يتناول علم اللغة النفسي مسألتين:

أولهما: ما هي المعرفة باللغة التي يحتاجها المرء لكي يستخدم لغة، والمعرفة نوعان: معرفة ضمنية ومعرفة صريحة، فالمعرفة الضمنية تشير إلى معرفة كيفية أداء أعمال متنوعة بينما تشير المعرفة الصريحة إلى معرفة العمليات والآليات المستخدمة في هذه الأعمال، فقد يعرف المرء فعل شيء دون أن يعرف كيف فعله، فاللاعب يعرف كيف يلعب وقد لا يعرف العضلات المستخدمة في القيام باللعب، والمرء يعرف كيف يتكلم وقد يعرف العمليات المتضمنة إنتاج الكلام، لذلك يمكن القول بأن معرفته باللغة معرفة ضمنية أكثر من كونها معرفة صريحة.

هناك أربعة مجالات للمعرفة اللغوية يمكن استنتاجها من ملاحظة السلوك: الدلالة Semantics وتتناول معنى الجمل والكلمات، التركيب Syntax ويتناول الترتيب النحوي للكلمات في داخل الجملة، الفونولوجيا Phonology وتتناول نظام الأصوات في اللغة، البراجماتية Pragmatics وتتناول القواعد الاجتماعية المتضمنة في استخدام اللغة.

ثانيهما: ما هي العمليات الذهنية المتضمنة في الاستخدام العادي للغة، والاستخدام العادي للغة يعني أمورا مثل فهم المحاضرة، قراءة كتاب، تحرير خطاب، إجراء محادثة، بينما تعني العمليات المعرفية عمليات الإدراك الحسي، التذكر، التفكير.

ومجمل القول أن علم اللغة النفسي يعنى بالبحث في كيفية فهم المرء وإنتاجه واكتسابه اللغة والتركيز على العمليات المعرفية المتضمنة في الاستخدام العادي للغة، كما يعنى بالقواعد الاجتماعية المتضمنة في استخدام اللغة وآليات المخ المرتبطة بها.

وأخيرا نقول: إن علم اللغويات Linguistics يتخذ من لغة البشر موضوعاً له يصفها ويحلل بنيتها، ونظراً لعلاقة اللغة بمختلف جوانب السلوك والنشاط الإنساني فإن علم اللغويات وثيق الصلة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية كعلم النفس وعلم الاجتماع والتربية والانثروبولوجيا والفلسفة وعلم الحاسب الإلكتروني وغيرها...

ويولي هذا العلم أهمية كبيرة لدراسة بنية اللغات واستخدامها وتعليمها وتعلّمها ومسار تطورها عبر الزمن، ويسعى علم اللغويات إلى الإجابة عن أسئلة كثيرة منها:

أ- ما القواسم والسمات المشتركة بين اللغات؟ وما أوجه الاختلاف بينها؟

ب-كيف يتم تعلّم اللغات؟ ولمَ يتعلمها الأطفال بسهولة وبسرعة مقارنة بالكبار؟

ت-كيف تقترن المعاني بالكلمات؟ وكيف تتآلف الكلمات مع بعضها بعضاً لتشكل الجمل والعبارات؟

ث-كيف تتغير اللغات عبر الزمن؟ وكيف نحدد المسار التاريخي للتطور اللغوي في غياب السجلات والوثائق؟

ج- كيف تختلف لغة الإشارة التي يستخدمها الصم والبكم عن اللغة المنطوقة؟ وكيف تتشابه معها؟

ح- كيف يتم إنتاج الأصوات اللغوية؟ وكيف تتشكل الكلمات؟

وهكذا فإن ميدان اللغويات هو لغة البشر، فما هي اللغة؟

أولاً: مفهوم اللغة:

- لغةً: جاء في لسان العرب: " اللغة: السن، وأصلها لُغوة، فحذفوا واوها وجمعوها على لغات كما جمعت على لغوات، واللغوة: النطق، يقال: هذه لغتهم التي يلغون بها أي ينطقون بها"

- اصطلاحاً: عرف ابن جني 392هـ اللغة بقوله: " أما حدّها فإنها أصواتٌ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم".

وبهذا التعريف أخرج ابن جني كلّاً من الكتابة والإشارة والأشكال التعبيرية الأخرى في هذا التعريف كون الأصل في اللغة الصوت، بينما الكتابة رموز تمثيلية ساعدت على تناقل الصوت بين الأجيال والمجموعات اللغوية

وعرفها ابن خلدون 808هـ بقوله: " عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلابد أن تصير ملكة مستقرة في العضو الفاعل لها وهو اللسان وهو في كل أمة حسب اصطلاحتها"

من خلال قراءتنا لهذا التعريف نجده يتضمن:

1. اللغة وسيلة للإبانة أو التعبير عن المقاصد
2. اللغة فعل لساني وسيلته اللسان
3. اللغة ملكة لسانية
4. اللغة تواضع واصطلاح بين أفراد الأمة

ويعرفها دي سوسير: " هي تنظيم من الإشارات المفارقة"، يتضمن هذا التعريف:

1. اللغة عنده نسق من الإشارات والرموز.
2. عبارة عن وحدات لُغوية وُضِعت لمعنى.
3. وحدات لُغوية متغايرة فيما بينها.

ويعتبر تشومسكي اللغة تنظيماً عقلياً فريداً من نوعه "حيث إنها أداة للتعبير والتفكير الإنساني الحر بل لا تخضع اللغة في استعمالاتها الطبيعية إلى حافز خارجي ولا إلى أي حالة داخلية يمكن تحديدها بصورة مستقلة كما أنها ليست عادات كلامية أو عملاً لا إرادياً"، يقول في كتابه **التراكيب النحوية:**

سـوف أعتبر أن أية لغة هي عبارة عن مجموعة (محدودة أو غير محدودة) من الجمل، كل منها محدودة في الطول ومركبة من مجموعة محدودة من العناصر". وهكذا فإن تشومسكي يرى أن كل لغة طبيعية تتكون من عدد محدود من الأصـــوات وعدد محدود من الأحرف في أبجديتها (على افتراض أن كتابتها تتبع النظام الأبجدي)، كما أنه يعتقد أن كل جملة من الجمل يمكن تمثيلها بسلسلة متعاقبة من الأصوات، ومن مهام عالم اللغة، لدى وصفه لغة ما، أن يقرر أياً من هذه السلاسل المتعاقبة محدودة العناصر تشكل جملاً وأيا منها لا

تشـكل جملاً، كما عليه أن يبين إذا اسـتطاع إلى ذلك سـبيلاً، الخصـائص البنيوية التي تتمتع بها نظمها الصوتية والنحوية والدلالية.

ويعتقد تشـومسـكي بأن هذه الخصـائص البنيوية بلغت من التجريد والتعقيد حداً لا يمكن تجاهله عندما ندرس مواضيع في عملية الاكتساب اللغوى.

التعريف اللساني للغة: " اللغة هي قدرة خاصة بالنوع البشري للتواصل بفضل جهاز من الرموز المنطوقة التي تحتاج إلى تقنية جسدية معقدة مع افتراض وجود وظيفة رمزية ومراكز خاصة في المخ، وهذا الجهاز من الرموز المنطوقة المتداولة بين جماعة معينة تشكل لغة خاصة".

التعريف النفسي للغة: "اللغة هي ملكة إنسانية كما تعتبر الأداة الأساسية للتواصل بالأفكار والمشاعر بين الأفراد وتعتبر وسيلة التحليل والتعبير الفكري لدى الفرد بواسطة جهاز مدعم برموز وإشارات تربط بينها قواعد ويُعبر عنها شفهياً وكتابياً أو بالإشارات".

اللغة نظام من الرموز التوفيقية arbitrary symbols تسـتخدمه مجموعة بشـرية للتواصـل فيما بينها. وعندما نقول أن شـخصـاً يتقن لغتين مثلاً فإننا نعني أنه يعرف نظامين مستقلين من الرموز التوفيقية وبالتالي يسـتطيع أن يتواصـل مع أفراد ينتمون إلى مجموعتين بشـريتين لكل منهما نظامها اللغوي الخاص. ومع أن جميع اللغات المعروفة تسـتخدم رموزاً صـوتية منطوقة وبالتالي تعبر عن نفسـها من خلال الكلام speech، ومع أن الكلام هو وسيلة التواصل الرئيسة، إلا أن هناك وسائل أخرى للتواصل كاللغة التي يستخدمها الصم والبكم التي تتضمن إشارات ورموزاً يتم التعبير عنها باستخدام اليدين.

وفي الأحوال العادية يتواصـل الناس إما مشـافهة (باسـتخدام اللغة المنطوقة أو المسـموعة) أو كتابة (باستخدام الرموز المرئية أو المكتوبة). وقد يكون من المناسب في هذا السياق أن نتعرف على بعض الفروق بين الكلام (اللغة المنطوقة) واللغة المكتوبة.

1- الكلام ضروري للتواصل، ولذلك يكتسب الأطفال اللغة المحكية حولهم دون تعلم مباشر ممن يعيشون معهم. أما في حالة الكتابة فيحتاج الطفل إلى تعليم مباشر ومنتظم في المدارس أو في أماكن أخرى.

2- الكتابة تمثيل دائم وسجل ثابت للوقائع والأحداث ولكن الكلام (إذا لم يتم تسجيله صوتيا) يزول بمجرد النطق اذ يتحول إلى موجات صوتية غير مرئية.

3- يستطيع الكاتب أن يراجع ويغير ما يكتبه بحيث يخرجه بالصورة التي يريدها، اما المتكلم فلا يستطيع دائماً ان يذكر جيداً ما قاله قبل ساعة مثلاً. ولذلك يصعب عليه في كثير من الأحيان تغيير أو تعديل التفوهات التي صدرت عنه.

4- يفيد المتكلم في حديثه من النبر والتنغيم والإشارات باليد والرأس وبعض أعضاء الجسم الأخرى بينما لا تستخدم هذه الأمور في الكتابة، ويستعاض عنها في الغالب بعلامات الترقيم او ببعض الإجراءات الفنية في الكتابة كاستخدام الحرف الكبير في اللغة الإنجليزية لإبراز أهمية كلمة ما أو طباعتها بخط مائل او بخط اسود مثلاً.

5- يستخدم الإنسان في الحديث جملاً كاملة أحيانا وأشباه جمل أو جملاً ناقصة أحيانا أخرى. أما في الكتابة فيلجأ الكاتب إلى كتابة جمل كاملة مفيدة تراعي قواعد النحو والصرف إلى حد كبير، وإلا اعتبرت الكتابة غير مقبولة أو تحتوي على نواقص.

6- يلجأ المتكلم أحيانا إلى تكرار بعض المفردات أو العبارات وقد يقاطع في حديثه من السامع، أما الكاتب فيكون لديه متسع من الوقت لتلافي أي خطأ أسلوبي أو نحوي.

يعرف سابير (Sapir, 1921: 8) اللغة بأنها "طريقة بشرية وغير غريزية لنقل الأفكار والأحاسيس والرغبات بواسطة رموز تنتج طوعاً". وقد تعرض هذا التعريف للنقد من قبل عدد من اللغويين. فمن ناحية، فإن كثيراً مما يمكن نقله بواسطة اللغة لا يندرج ضمن "الأفكار" و "الأحاسيس" و "الرغبات" مهما كان تفسيرنا لها. فعلى سبيل المثال يؤكد عالم اللغة البريطاني فيرث (Firth, 1964) على أهمية الوظيفة الاجتماعية للغة التي تشتمل على التخطيط والإرشاد والتحية والوداع والمديح والذم والرضا والشكوى وغيرها. ويشير كريستال (Crystal, 1968: 10-13) إلى أهمية استعمال اللغة لأغراض مختلفة كتدوين الحقائق في السجلات الرسمية (المواليد مثلا) والتاريخية والتقارير العلمية. ومن ناحية أخرى، فهناك أنظمة متعددة للرموز المنتجة طوعاً لا تندرج عادة ضمن تعريف اللغة كالإيماءات والحركات اليدوية وغيرها من الإشارات.

أما بلوك وتريجر (Bloch and Trager, 1942: 5) فقد ذهبا في كتابهما **الموجز في التحليل اللغوي** Outline of Linguistic Analysis إلى أن اللغة "منظومة من الرموز الصوتية التوفيقية يمكن بواسطتها

لمجموعة من الناس في مجتمع معين ان تتعاون". ويختلف هذا عن تعريف سابير ذلك أنه لا يركز على أهمية الوظيفة التواصلية للغة، وبدلا من ذلك فانه يؤكد على وظيفتها الاجتماعية.

ويذهب هول (Hall, 1968: 115) في كتابه **مقالة عن اللغة** Essay on Language إلى أن اللغة: "نمط سلوك جماعي يقوم بنو البشر بواسطته بالاتصال والتفاعل بعضهم مع بعض برموز شفهية سمعية توفيقية يستخدمونها بحكم العادة".

ومن النقاط التي يمكن ملاحظتها في هذا التعريف ما يلي:

- اشتمال التعريف على كلمتي الاتصال والتفاعل بدلا من اصطلاح "التعاون".
- استخدام اصطلاح "شفهي سمعي" الذي يشير إلى المتكلم والمستمع معا، أي المرسل والمتلقي للإشارات الصوتية.
- استخدام اصطلاح "نمط سلوكي جماعي" للدلالة بوضوح على أن اللغة التي يستعملها أفراد مجتمع ما هي جزء من ثقافة ذلك المجتمع.
- استخدام كلمة "العادة" التي تعني من وجهة نظر دعاة المذهب السلوكي استجابة متكررة لمثيرات معينة يمكن التنبؤ بها.

هذا وقد أصبح واضحاً فيما بعد أن الاصطلاح "عادة" بمعناه في علم النفس السلوكي لا ينطبق على كثير من التفوهات التي نصدرها في مناسبات كثيرة، وليس من الصواب أن نفترض وجود ارتباط ما بين الكلمات والحالات التي تستخدم فيها يمكن تفسيره احصائياً والتنبؤ به طبقاً لهذه النظرة. فعلى سبيل المثال، فإننا لا نصدر عادة تفوهات تتضمن كلمة **طير** كلما وجدنا أنفسنا في ظرف أو حالة نرى فيها طيراً.

أما روبنز (Robins 1979: 9-14) فيرى "أن اللغات ما هي إلا منظومات من الرموز ... تبنى بكاملها تقريبا على أساس العرف الخالص أو العرف التوفيقي"، ويؤكد روبنز على مرونة تلك الرموز وقابليتها للتكيف، ويضيف روبنز في موضع آخر (Robins, 1971: 13). "أن اللغات قابلة بغير حدود للتوسع والتعديل وفق الحاجات والحالات المتغيرة للمتحدثين بها".

ويتضح من هذا، أن روبنز لا يحبذ تعريفاً محدداً بل يتجه إلى تبني عدد من الحقائق البارزة حول اللغة منها قابلية توسيع المنظومة اللغوية وقابلية تعديل منتوجات تلك المنظومة ضمن حدود معينة.

ويعرف ووردوف (Wardhaugh 1972: 3) اللغة بأنها "نظام من الرموز الصوتية التوفيقية التي تستخدم في التواصل بين الناس". وهذا التعريف كما هو واضح يحصر اللغة بالكلام حيث توجد الأصوات، ولا ينطبق على لغة الإشارة التي يستخدمها الصم والبكم.

ويبين التعريف أن الكلام هو الركن الأساسي في اللغة بغض النظر عن وجود نظام كتابي لها أم لا، وبغض النظر عن تطور هذا النظام إن وجد. فالكتابة تعتمد على الكلام ولاحقة له. وفي هذا الإطار يمكن أن نفهم أن نظم الكتابة المختلفة تعكس محاولات الإنسان تمثيل الأصوات اللغوية وما يتشكل منها من كلمات وجمل لها معاني مختلفة على الورق. ومع إدراكنا لدور النصوص المكتوبة في حياة البشر إلا أن هدفها الرئيس يظل محصوراً في حفظ اللغة المنطوقة وليس وصفها ومحاكاتها. وعندما ندرس اللغة في مستوياتها المختلفة فإننا ندرس ونحلل الكلام الذي يتفوه به الناطقون بتلك اللغة.

ومن أكثر تعريفات اللغة شمولاً ذلك الذي قدمته الجمعية الأمريكية للنطق واللغة والسمع المعروفة بـ "آشا" ASHA وهي الأحرف الأولى لاسم هذه الجمعية باللغة الإنجليزية – American Speech Language – Hearing Association. تنظر "آشا" إلى اللغة على أنها: نظام معقد وديناميكي من الرموز المتفق عليها يستخدم في شتى أنواع التفكير والتواصل (Owens 1992). ويؤكد هذا التعريف على الجوانب التالية:

- تتطور اللغة في إطار تاريخي اجتماعي ثقافي معين.
- اللغة سلوك تحكمه قواعد معينة rule – governed ويتألف هذا السلوك من مستويات مختلفة هي: الصوتي Phonology والصرفي Morphology والنحوي Syntax والدلالي Semantics والبراجماتي أو السياقي Pragmatics.
- اكتساب اللغة واستخدامها تحكمه مجموعة متشابكة من العوامل البيولوجية والإدراكية والنفسية والبيئية.
- يتطلب الاستخدام الناجح والفعال للّغة لغايات التواصل فهماً عميقاً وواسعاً للسلوك والتفاعل الإنساني، ويشتمل ذلك على فهم لعملية التواصل غير اللفظي nonverbal ولدور التعزيز reinforcement والعوامل الثقافية والاجتماعية في اكتساب اللغة.

وسنحاول فيما يلي إلقاء إضاءة على المصطلحات الرئيسة التي وردت في التعريف وهي: نظام ورموز وتواصل.

اللغة نظام **Language is a system**

كل مستوى من مستويات اللغة (أي لغة) يحكمه نظام يكتسبه ويستخدمه الناطقون بتلك اللغة، وهكذا فاللغة نظام ولو لم تكن كذلك لما أمكن تعلمها واستخدامها. ولتوضيح ما ذهبنا إليه سنحاول أن نبين الصفة النظامية للغة في مستوياتها المختلفة. فعلى المستوى الصوتي تحتوي كل لغة على مجموعة من الأصوات قد تشترك في بعضها مع لغات أخرى وقد تتفرد في بعضها الآخر، فصوت / ت / في اللغة العربية له شبيه في اللغة الإنجليزية وكذلك الأمر بالنسبة للأصوات [ب]، [د] وغيرها. أما الصوت [ض] فخاص بالعربية.

وتتآلف الأصوات مع بعضها بعضاً وفق نظام معين، ففي حين لا تسمح اللغة العربية الفصحى باستخدام صوتين صامتين consonants في بداية الكلمة نجد ذلك ممكناً في اللغة الإنجليزية، فلا نقول في العربية الفصحى **blaad** "جمع بلد" بل **bilaad** لكننا نقول **black** **أسود** في الإنجليزية. ومن القيود على تآلف الأصوات في العربية أن الصوتين [ع] و [ح] لا يجتمعان في مقطع واحد. وعلى المستوى الصرفي فإن

صيغة الجمع لكلمة **ولد** هي **أولاد** وليس **ولدات**. وهكذا إذا سمعنا أحداً يقول: **رزق علي بخمسة ولدات** حكمنا عليه بأنه لا يتقن النظام الصرفي للغة العربية، هذا اذا لم نقل إنه ليس من الناطقين بها.

وعلى المستوى النحوي يجب أن تنتظم الكلمات بطريقة معينة حتى تشكل عبارة أو جملة مفيدة، فمثلاً نقول **ذهب عليٌ إلى المصنع** ولكننا لا نقول **ذهب المصنع علي إلى** ونفس الشيء يقال على مستوى الدلالة. فالفعل **قرأ**، على سبيل المثال، يتطلب فاعلاً عاقلاً فنقول **قرأ علي الدرس** ولا نقول **قرأ الحصان الدرس**. أما جملة **علي في بيت خالته** في اللهجة المحكية الأردنية التي قد تعني **علي في السجن** فلا يفهمها إلا من يعرف النظام السياقي Pragmatic System في هذه اللهجة.

اللغة ترميز **Language is symbolic**

في الرياضيات يشير الرمز 6 إلى عدد معين يمكن التعبير عنه باستخدام رموز أخرى وفق نظام أو ترتيب محدود، فالعدد 6 هو 2+2+2 أو 2×3 ...الخ. ونفس الشيء يمكن أن يقال عن اللغة، فهي نظام رمزي يتألف من مجموعة محدودة من الأصوات تتآلف مع بعضها بعضاً وفق نظام خاص في كل لغة لتنتج عدداً غير محدود من الكلمات التي لها دلالات معروفة لدى الناطقين بتلك اللغة. ولا توجد علاقة منطقية بين الأصوات التي تتألف منها كلمة ومعناها. **فالعطر** له رائحة زكية لا تمتّ بصلة إلى الأصوات عِ طْ رْ ويقال نفس الشيء عن **طاولة** و **كرسي** و **طاووس** وغيرها.

اللغة أداة تواصل **Language is a communication tool**

وظيفة اللغة الأساسية هي تمكين المتحدثين بها من التواصل فيما بينهم سواء أكان عددهم كبيراً أم صغيراً. فالصينيون الذين يعدون مليارا تقريباً يتواصلون ويفكرون باللغة الصينية، والعرب بملايينهم المئتين ونيّف وعلى اختلاف أقطارهم يتواصلون بالعربية. وهناك لغة في أمريكا تسمى السنيكية Seneca لا يزيد عدد الناطقين بها عن مئة شخص. والتواصل هو عملية لتبادل الأفكار والآراء والمعلومات وتشتمل على استخدام الرموز وتحليلها وبثها.

فإذا استخدم متحدث الضمير **هو** عرف المستمع أنه يشير إلى مذكر وإذا استخدم **هي** فإنه يشير إلى مؤنث. ونقول أن التواصل ناجح إذا كانت الرسالة المنقولة تتناسب وواقع الحال، وهذا يعني أن المتحدث قد امتلك الكفاية التواصلية communicative competence، أي أنه قادر على استخدام اللغة للتواصل ارسالاً واستقبالاً.

والكلام المنطوق واللغة يشكلان جزءاً من عملية التواصل، وهناك أجزاء أخرى للتواصل منها الجوانب اللغوية المساندة paralinguistic وتشتمل على النبر stress والتنغيم intonation والسرعة rate والتوقف pause أو التردد hesitation ومنها الجوانب غير اللغوية nonlinguistic وتشتمل على الإيماءات gestures ووضعية الجسم body posture وتعابير الوجه facial expressions والتواصل البصري eye contact وحركة الرأس والجسم والمسافة التي تفصل المتحدث جسمياً عن المستمع، الخ، ومنها الجوانب الميتالغوية (ما وراء اللغة) metalinguistic التي تبين فاعلية التواصل. وتشتمل المهارات الميتالغوية على القدرة على التحدث عن اللغة وتحليلها وإصدار الأحكام حول صحة أو عدم صحة كلمة أو جملة معينة فيها، وبعض هذه المهارات لا يتأتى إلاّ بالتعليم كتحليل الكلمة إلى أصوات لتسهيل نطقها أو التحدث عن اللغة باستخدام مفاهيم مجردة abstract مثل **الفاعل والمفعول به** ...الخ.

إن هذه التعريفات السابقة تقودنا إلى اعتبار اللغة تنقسم إلى قسمين:

- قسم خارجي ظاهري: كالكلمات والحروف والأصوات اللغوية والإيماءات أو الإشارات والتعبيرات الوجهية.
- قسم داخلي باطني: وهو الذي يكون الجزء الأعظم من اللغة، ويتكون من النسق العصبي العضلي بين أعضاء الكلام المختلفة ومراكز المخ وربطها ببعضها البعض وبالخبرات السابقة، إذ هناك علاقة بين استقبال الكلام لدى السامع وخبرته الماضية والحاضرة وغيرها من العمليات الفيسولوجية والنفسية المتعلقة بعملية الاكتساب ونطق الكلمات إرادياً.

يبدو لنا مما سبق أن اللغة وسيلة الاتصال والتخاطب بين الناس وسبيل التفاهم بينهم، وهناك من يعدها قدرة ذهنية تتكون من مجموع المعارف اللغوية بما فيها المعاني والمفردات والأصوات والقواعد التي تنظمها جميعاً وهذه القدرة تكتسب ولا تولد معه، وإنما يولد الطفل ولديه استعداد فطري لاكتسابها.

فاللغة هي شيفرة تستخدم فيها رموزاً خاصة بطريقة معينة يتم من خلالها تمثيل الأفكار حول العالم بنظام من الرموز الاعتباطية للتواصل الإنساني (بلوم).

وبناءً على هذا التعريف فالرموز تشير إلى أشياء حقيقية، مفاهيم، أفكار، والأشياء التي تمثلها الرموز هي مراجع لها، على سبيل المثال في اللغة العربية كلمة (قلم) لا يوجد أي رابط ما بين كلمة قلم وشكل القلم، فلا يوجد ما يدعو إلى تسمية الشيء الذي نكتب به (بالقلم) فكان من الممكن أن يسمى طاولة مثلاً.

ولكن لابد أن يكون الرمز وما يشير إليه متفق عليه بين أفراد مجتمع التواصل حتى يكون لهذا الرمز معنى، وبهذا فاللغة هي ما يتفق عليه بين مستخدميها من جهة ومن الرموز والقواعد التي تحكم هذه الرموز من جهة أخرى.

فهي نظام معقد وديناميكي من الرموز التقليدية تستخدم في أنماط مختلفة للتفكير والتواصل، وغالباً ما تمثل اللغة الشفوية برموز صوتية تسمى الأصوات الكلامية، ولكن الأصوات الكلامية المفردة تكون غير ذات معنى مالم يضاف إليها الانتظام، إذن قواعد اللغة هي التي تحكم العلاقة بين هذه الأصوات المفردة، الوحدات الصوتية ذات المعنى المنبثقة عنها وطريقة تركيب هذه الوحدات.

ونكرر القول: إن اللغة هي نظام تحكمه القواعد والضوابط التي توجه الكيفية التي تنتظم فيها هذه الرموز وطريقة استخدامها، هذه القواعد والضوابط من الممكن التنبؤ بها ومن الممكن استخدامها في تحديد ما هو مقبول وما هو غير مقبول في اللغة، فعلى سبيل المثال في اللغة العربية لو قارنا بين العبارتين: (جاء خالد من المدرسة) و (جاء من المدرسة خالد) الأولى مقبولة من حيث قواعد اللغة العربية وقد أدت المعنى المطلوب، أما العبارة الثانية فهي خاطئة من الناحية القواعدية لذلك لم تؤدِّ المعنى المطلوب على الرغم من أن الرموز المستخدمة صحيحة وذات معنى.

إن عدد القواعد التي تحكم اللغة محدود وعندما يتم تعلم هذه القواعد سيصبح بإمكان الشخص إنشاء عدد لا نهائي من الرسائل ذات المعنى من خلال صياغة وإعادة صياغة الرموز اللغوية استناداً إلى القواعد المتفق عليها.

وإن نظام القواعد الذي يمكن الفرد من إنشاء عدد لا حصر له من العبارات يعطي للغة خاصية الإبداعية والتي تعني قدرة الفرد على إنشاء عبارات وجمل لم يستخدمها أو يسمع بها من قبل ويمكن أيضاً للمستمع من نفس النظام اللغوي أن يفهم هذه العبارات من خلال توظيف نفس القواعد.

تمثل اللغة قدرة ذهنية تتكون من مجموعة المعارف اللغوية التي تتداخل في تكوينها عوامل فسيولوجية والمتمثلة في المخ وتركيب الأذن والجهاز العصبي والصوتي لدى الإنسان، وهذه القدرة تهيئ لدى الإنسان الاستعداد الفطري لاكتسابها، وهذه القدرة المكتسبة تتمثل في نسق متعارف عليه بين أفراد أمة ما، حيث يطلق عليها الجماعة اللغوية الناطقة بلغة ما.

ثانياً: الفرق بين مفهوم اللغة والمفاهيم الأخرى:

هناك مفاهيم أساسية تستعمل في موضوع اللغة ويصعب التفرقة بينها ومن هذه المفاهيم:

1. **الكلام speech:**

هو ما ينتجه أي متكلم فردي، وفي نفس السياق عُرّف في قاموس علم الاجتماع:" الكلام سلوك فردي وهو نتيجة حديث فرد ما مستخدماً رمزاً لسانياً لإنتاج الأصوات".

أما **دي سوسير** فقد اعتبر الكلام فعل حركي أو العملية التي يتم من خلالها استقبال الرموز الصوتية وإصدار هذه الرموز الصوتية وإصدار هذه الرموز يعني أن الكلام عبارة عن الإدراك الصوتي للغة، والتعبير يكون من خلال إصدارها، ونظراً لأن الكلام هو فعل حركي فإنه يتضمن التنسيق بين أربع عمليات رئيسة هي:

- التنفس Respiration : أي العملية التي تؤدي إلى توفير التيار الهوائي اللازم للنطق.
- إخراج الأصوات Phonation : أي إخراج الصوت بواسطة الحنجرة والأحبال الصوتية.

- رنين الصوت Resonance : أي استجابة التذبذبات في سقف الحلق المليء بالهواء وحركات الثنيات الصوتية مما يؤدي إلى تغيير نوع الموجة الصوتية.
- نطق الحروف وتشكيلها Articulation : أي استخدام الشفاه والسان والأسنان، وسقف الحلق لإخراج الأصوات المحددة اللازمة للكلام كما هو الحال في الحروف الساكنة والحروف المتحركة.

والكلام هو التمثيل اللفظي للتواصل، أما الطرق الأخرى للتواصل فقد تتضمن الكتابة، الرسم، الإشارات، فهو نتائج لتخطيط وتنفيذ حركات خاصة متسلسلة وهو عملية تتطلب تنسيق عصبي عضلي عالٍ، وهو التعبير الشفوي للغة ويتضمن العمليات الحسية الحركية التي يستخدمها الأفراد لإعادة إنتاج الرموز المشفرة المخزنة داخل نظامهم العصبي المركزي وبالتالي يمكن للآخرين سماع هذه الرموز.

ولكن ماهي هذه الرموز المستخدمة في الكلام؟

لكل لغة منطوقة أصوات خاصة أو فونيمات أو أصوات مركبة تميز هذه اللغة وتنتظم هذه الأصوات وفق قواعد محددة مضافاً إليها مكونات أخرى مثل جودة الصوت النبر والتنغيم لتشكل الكلام، إذن فالكلام لا يشبه الأصوات البيئية الأخرى وذلك بسبب التعقيدات المتضمنة فيه حتى أن الموسيقا لا تصل إلى مستوى التعقيد الموجود في الكلام.

حاول أن تقول (بوط) وقلها ببطء شديد، فالصوت الأول هو (ب) الذي يتطلب منك زم الشفاه وحبس الهواء خلفه ثم تسريح الهواء، وبعد ذلك تدوير الشفاه لإنتاج الصوت الثاني (و) وبعد ذلك رفع اللسان إلى اللثة وحبس الهواء ثم تسريحه لإنتاج (ط)، أما الآن فقل (بوط) بمعدل الكلام العادي وراقب كم هي سهلة ولا تحتاج لأي جهد.

لا يعد الكلام الوسيلة الوحيدة للتواصل وجهاً لوجه، فنحن نستخدم الإيماءات والتعابير الوجهية ولغة الجسد لإرسال الرسالة المقصودة، في الكلام وجهاً لوجه قد ينقل الكلام 60% من الرسالة فقط.

وإذا أردنا أن **نقارن بين مفهومي الكلام واللغة** فإننا نجد أن الكلام هو الكيفية الفردية للاستخدام اللغوي فهو كل ما يصدر عن الفرد من المترادفات والنعوت والجمل القصيرة أو الطويلة وحتى المعترضة، وأي خلل في هذا الإصدار كعدم الطلاقة أو اضطراب النطق يدفعنا إلى معرفة تأثير ذلك في تكوينه النفسي وعلى عملية التخاطب الذاتي(بمعنى آخر التفكير) هذا من جهة ومن جهة أخرى إلى محاولة الكشف عن الفروق اللغوية مع غيره ومن نفس

المجتمع. بينما اللغة تمكننا من معرفة الخصائص المشتركة في كلام الأفراد والتي يتفاهمون بها فيما بينهم، وبما أن اللغة لها أبعاد ثلاثية الزمن فهي تخضع للتبدل والتغيير وهي حصيلة استخدام متكرر لرموز صوتية تشكل معان مختلفة.

إن الفرق بين اللغة والكلام يكمن في الزاوية الطبيعية لطبيعة وتكوين كل منهما، حيث يعتبر بأن الكلام هو العمل وأما اللغة فتعتبر حدود هذا العمل، والكلام هو عبارة عن سلوك واللغة تعتبر المعيار لهذا السلوك، والكلام يكون نشاطاً واللغة هي عبارة عن القواعد المنظمة لهذا النشاط، والكلام هو الحركة في حين أن اللغة هي النظام لهذه الحركة، ويستحسن الكلام بالسمع عن طريق النطق والبصر عن طريق الكتابة، بينما اللغة في التأمل والتفهم لكل ما هو مسموع ومقروء، والكلام هو عمل فردي بينما اللغة اجتماعية، خلاصة القول: إن الفرق بين الكلام واللغة في النشاط اللغوي يكون على النحو التالي: ذهني ويتمثل باللغة وواقع يتمثل بالكلام.

2. **النطق (Articulation):**

هو العمليات الحركية الكلية المستخدمة في تخطيط وإنتاج الكلام، أي أن النطق هو عملية اكتسابية ناتجة عن التطور النمائي للقدرة على تحريك أعضاء النطق بطريقة دقيقة وسريعة، أي هو نوع محدد من التعلم الحركي.

والنطق كعملية هو نتاج أعضاء النطق والذي يبدأ فعلياً بأمر من الدماغ بإخراج تيار الهواء من الرئتين (Lungs)بدفع من عضلة الحجاب الحاجز (Diaphram)أثناءعملية الزفير (Expiration) ويمر هذا التيار في القصبة الهوائية ومن ثم يدخل التجويف الحنجري (Cavity Laryngeal) ليجد في نهايته وترين صوتيين (Vocal Cords) والتي إما أن تفتح بهدوء فيمر التيار الهوائي دونما اهتزاز أو أن تعترض هذه الأوتار طريق التيار فينتج عن ذلك اهتزاز (Vibration) وبعد ذلك يمر التيار في التجويف البلعومي (Cavity Pharyngeal) فيصطدم التيار بجدران هذا التجويف لتأخذ موجاته سمات جديدة حتى يصل إلى نهاية هذا التجويف ليواجه اللهاة (Uvula) والتي إما أن تعترض التيار اعتراضاً كاملاً ومن ثم تسمح له بالمرور أو أن تعترضه جزئياً فيمر محتكاً بها، وإما أن تفسح له المجال ليمر بسهولة ويصل إلى سقف الحلق اللين (Palate soft) ليشكل مع الجزء المقابل من اللسان حاجزاً كلياً بالتالي تغيير مسار التيار إلى التجويف الأنفي (Nasal Cavity) ليخرج من الأنف أو يكوّن معه حاجزاً جزئياً ليصل التيار محتكاً إلى سقف الحلق الصلب (Hard Palate) ليشكل مع الجزء المقابل له من اللسان حاجزاً كلياً ومن ثم يترك التيار ليكمل مساره، أو يكون حاجزاً جزئياً ليمر محتكاً إلى اللثة (Alveolars) وتعمل اللثة نفس عمل الجزء السابق وبعدها يصل التيار إلى الأسنان (Teeth) والتي تعمل كحاجز جزئي أو تترك

التيار يمر بسهولة واصلاً إلى الشفتين (Lips) والتي إما أن تحتجز التيار احتجازاً كاملاً أو جزئياً وبعدها يخرج إلى خارج الجسم.

3. **التواصل:**

إن اللغة والكلام هما جزء من عملية أكبر تدعى التواصل، وهي عملية تبادل المعلومات والأفكار والحاجات والرغبات بين شخصين أو أكثر، ويشير التواصل إلى إرسال واستقبال الرسائل، المعلومات، الأفكار، والمشاعر، إنه عملية واسعة تتعدى حدود الإنتاج الحركي للكلام والرموز إلى سلوك أو فعل ينقل رسالة ما.

تحتاج عملية التواصل إلى مرسل ومتلقي، ويجب أن يكون كل منهما متيقظاً للاحتياجات المعلوماتية للآخر لضمان نقل الرسائل بشكل فعال والحفاظ على المعاني المقصودة، فعملية التواصل تكون فعالة عندما يقوم أحد أطرافها بترميز وتشفير وبث الرسالة ويقوم الطرف الآخر بفك وفهم المعنى المقصود من الرسالة.

وعملية التواصل لا تقتصر على البشر فمعظم الكائنات من الممكن أن تتواصل فتوصل رسائل وتستقبل رسائل فعلى سبيل المثال يستطيع النحل إرسال ذبذبات تصل حتى (10كم) إلى أفراد الخلية، ويتم استقبالها وتفسيرها والاستجابة لها، إذن هنا اكتملت عناصر عملية التواصل(مرسل، رسالة، مستقبل، وسيلة)، ولكن الإنسان لديه القدرة على التواصل بأفكار ومشاعر غاية في التعقيد من خلال اللغة وتسمى الدرجة التي ينجح بها المتحدث في التواصل والتي تقاس بمدى ملاءمة الرسالة وفاعليتها **بالكفاءة التواصلية**، ويظهر التواصل فقط عندما يحدث هناك فهماً مشتركاً للرسالة بين المستقبل والمرسل.

التواصل البشري هو أداة معقدة ومنهجية وتعاونية مرتبطة بالسياق الاجتماعي الذي تتم فيه ويتضح هذا التعقيد من خلال المظاهر والوظائف المتعددة لعملية التواصل وما تشمله من عمليات عقلية مثل الذاكرة والتفكير والتخطيط والتي يحكمها أيضاً الموروث الثقافي والظروف المحيطة وعلى الرغم من تعقيد الاتصال إلا أنه نمط منظم من السلوك.

وقل رب زدني علما
Damascus University

تمـهيـــد

علم اللغة النفسي Psycholinguistics – موضوع هذا الكتاب – فرع من فروع علم اللغة Linguistics، أو علم اللغة الحديث Modern Linguistics[1]، كما يسمى أحياناً. بيد أن علم اللغة النفسي – في عمومه – يقع في الجانب التطبيقي من علم اللغة؛ لأن معظم موضوعاته لغوية تطبيقية. لذا فإن من المفيد أن أعرِّف بعلم اللغة الأصل، وأذكر أهم فروعه، وبخاصة الفروع ذات الصلة الوثيقة بعلم اللغة النفسي.

علم اللغة:

علم اللغة، أو علم اللغة الحديث، هو: دراسة اللغة – أي لغة – دراسة علمية موضوعية، تعتمد على الوصف والتحليل. وقد عبر عن هذا المفهوم رائد علم اللغة الحديث، فرديناند دي سوسير Ferdinand de Saussure (١٨٥٧-١٩١٣م)، في حديثه عن موضوع علم اللغة حين قال: «إن موضوع علم اللغة الوحيد والصحيح هو اللغة معتبرة في ذاتها ومن أجل ذاتها»[2].

وقد شرح الدكتور محمود السعران معنى قول دي سوسير هذا بأن الباحث في اللغة: «... يدرسها من حيث هي لغة، يدرسها كما هي، يدرسها كما تظهر، فليس للباحث فيها أن يغير من طبيعتها ... وليس له أن يقتصر في بحثه على جوانب من اللغة مستحسناً إياها، وينحِّي جوانب أخرى استهجاناً لها، أو استخفافاً بها، أو لغرض في نفسه أو لأي سبب آخر من الأسباب.» [1]

ثم شرح السعران معنى قول دي سوسير: (ومن أجل ذاتها) بأنه: «يدرسها دراسة موضوعية تستهدف الكشف عن حقيقتها، فليس من موضوع دراسته أن يحقق أهدافاً تربوية مثلاً، أو أية أغراض عملية أخرى. إنه لا يدرسها هادفاً إلى ترقيتها، أو إلى تصحيح جوانب منها أو تعديل أُخَر؛ إن عمله قاصر على أن يصفها ويحللها بطريقة موضوعية.» [2]

والمتمعن في هذا الشرح يدرك أنه يمثل الاتجاه السائد لمفهوم علم اللغة بمفهومه الوصفي البنيوي Structural Linguistics، وهو المفهوم الذي يحصر علم اللغة في علم اللغة النظري العام Theoretical/General Linguistics في إطار علم اللغة الوصفي البنيوي فقط. ولا غرابة في ذلك؛ لأن علم اللغة النظري العام (الوصفي) هو الميدان الأصل الذي بدأ به علم اللغة قبل قرن من الزمان. وما زال هذا المفهوم سائداً عند كثير من اللغويين؛ حتى إن مصطلح (علم اللغة Linguistics) إذا ورد وحده مجرداً من أي وصف آخر فإنما يقصد به (علم اللغة العام General Linguistics) [٣].

لكن هذا التعريف لم يعد شاملاً لمفهوم علم اللغة في العصر الحاضر، خاصة بعد تطور هذا العلم، وظهور الاتجاهات المعرفية العقلانية الفطرية التي يهتم

أصحابها بالبحث في العمليات اللغوية داخل العقل البشري؛ كاكتساب اللغة ونموها وفهمها، استعمالها، ومشكلاتها، أكثر من اهتمامهم بوصف قواعدها وصفاً بنيوياً شكلياً، فضلاً عن أن هذا التعريف لا يشمل علم اللغة التطبيقي، الفرع الآخر لهذا العلم، الذي يندرج تحته علم اللغة النفسي، موضوع هذا الكتاب.

وعدم شمول هذا التعريف لعلوم اللغة آنذاك أمر طبعي؛ لأن علم اللغة العام هو أصل هذا العلم، وكان مرادفاً لمصطلح علم اللغة، بالإضافة إلى أن علم اللغة التطبيقي لم يظهر إلا في منتصف القرن العشرين، ولم يعترف به علماء اللغة الوصفيون فرعاً من فروع علم اللغة إلا في زمان متأخر.

وقد عرف الدكتور محمود فهمي حجازي علم اللغة الحديث تعريفاً جامعاً مانعاً، في عبارة موجزة، حين قال: «علم اللغة في أبسط تعريفاته هو: دراسة اللغة على نحو علمي»[1]. ودراسة اللغة على نحو علمي، كما عبر عنها الدكتور حجازي، تشمل جميع فروع هذا العلم ومجالاته؛ القديمة والحديثة؛ النظرية منها والتطبيقية؛ بدليل أنه أتبع هذا التعريف عدداً من مجالات هذا العلم وفروعه المهمة[2]. ودراسة اللغة على هذا النحو يسمح بإدراج أنواع من مناهج الدراسات اللغوية، بما في ذلك التفسير والتعليل وغيرهما مما لم تشر إليه تعريفات المدرسة الوصفية البنيوية، بل أكدته النظريات المعرفية الفطرية.

ويمكن تعريف علم اللغة تعريفاً شاملاً لفروعه ومجالاته بشيء من الشمول والتفصيل بأنه: العلم الذي يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية من جميع جوانبها: الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والأسلوبية والتداولية والثقافية، ويبحث في أساليب اكتسابها واستعمالها، وطرائق تعلمها وتعليمها.

فعلم اللغة - إذن - ميدان عام لدراسة العلوم اللغوية والبحث فيها من جميع جوانبها: الصوتية والصرفية والنحوية ...، وما يتعلق بهذه الجوانب من النواحي: الاجتماعية والثقافية والنفسية والعقلية والفيزيائية والفسيولوجية والحيوية، وغيرها مما له علاقة بتحليل اللغة والبحث فيها ووصفها، واكتسابها، وتعلمها وتعليمها، واستعمالها في الميادين العلمية؛ كالرياضيات والإحصاء وعلوم الحاسوب، وتقنيات تعليم اللغات.

وبناء على ذلك، فإن موضوع هذا العلم (علم اللغة) هو اللغة نفسها، دراسة وتحليلاً واكتساباً وتعلماً وتعليماً، مع التفسير والتعليل. ويقصد باللغة هنا: اللغة الإنسانية بمفهومها العام، أي اللغة الإنسانية العامة التي يؤدي البحث فيها إلى الوصول إلى القوانين والمبادئ العامة التي تحكم اللغات وتتحكم في استعمالها واكتسابها، لا لغة معينة؛ كالعربية أو الإنجليزية أو الفرنسية[1]، ما لم تدرس تلك اللغة المعينة على ضوء قوانين علم اللغة وقوانينه، أو تدرس بهدف الوصول إلى القوانين العامة للغة الإنسانية.

وعلم اللغة من العلوم الحديثة نسبياً؛ فقد ظهر في أوربا في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين، على يد لغويين أوربيين أمثال: فرديناند دي سوسير، ونيكولاي تروبتسكوي Nikilaj Trubetzkoy (١٨٩٠-١٩٣٨م)، ورومان جاكبسون Roman Jakobson (١٨٩٦-١٩٨٢)، ولويس هلمسليف Louis Hjelmslev (١٨٩٩-١٩٦٥م) وأندريه مارتينيه Andre Martinet (١٩٠٨-)، ولغويين أمريكيين أمثال ليونارد بلومفيلد Leonard Bloomfield (١٨٨٧-١٩٤٩م)[1]، وإدوارد سابير Edward Sapir (١٨٨٤-١٩٢٣م) وأوتو يسبيرسن Otto Jesperson (١٨٦٠-١٩٤٣م) وفرانز بواز Franz Boas (١٨٥٨-١٩٤٢م) وكنيث بايك Kenneth Pike (١٩١٢م-) وزيلغ هاريس Zellig Harris (١٩٠٩-) ونوم تشومسكي Noam Chomsky (١٩٢٨م-) وغيرهم. لكن معالم هذا العلم لم تتضح إلا في نهاية النصف الأول من القرن العشرين[2].

وقد مر علم اللغة بمراحل، وظهرت فيه مدارس واتجاهات مختلفة في نظرتها إلى طبيعة اللغة، ومناهج وصفها وتحليلها، وأساليب اكتسابها وتعلمها وتعليمها، أبرزها المدرسة البنيوية Structural School، التي ابتدأت بها الدراسات اللغوية الحديثة على يد دي سوسير وزملائه، والمدرسة المعرفية أو النظرية المعرفية Cognitive Theory، التي تزعمها اللغوي الأمريكي المعاصر نوم تشومسكي في النصف الثاني من القرن العشرين، التي ما زالت مهيمنة على الدراسات اللغوية الحديثة. وتفرع من كل مدرسة عدد من

النظريات والاتجاهات والمذاهب والآراء، وبخاصة ما يتعلق باكتساب اللغة وتعلمها وتعليمها، سواء أكانت لغة أماً أمْ لغة ثانية أم لغة أجنبية[1].

وأياً ما كان الأمر، فإن ظهور علم اللغة – على اختلاف مدارسه ومذاهبه واتجاهاته – يعد ثورة على المناهج التقليدية التي كانت مسيطرة على الدراسات اللغوية في الغرب حتى نهاية القرن التاسع عشر، تلك المناهج التي كانت تهتم بالقواعد التقليدية ودراسة النصوص القديمة للغات وتحقيقها ومقارنتها.

علم اللغة في المصادر العربية:

لم يكن مصطلح علم اللغة هذا جديداً على الدراسات اللغوية العربية؛ فقد أطلقه بعض اللغويين العرب في وقت مبكر على دراسة المفردات لفظاً ودلالة، وتصنيفها في كتب أو معاجم، كما أطلقه بعضهم على الدراسات العامة حول اللغة. والقدماء من علماء العربية لم يفرقوا بين مصطلح علم اللغة، الذي نحن بصدده، ومصطلح فقه اللغة، باعتبار أن لفظة (فقه) تعني (علم)، استناداً إلى معناها المعجمي[2]، وجرياً على استخدام هذا المصطلح في العلوم الشرعية[3].

ولعلم اللغة في اللغة العربية المعاصرة أسماء أخرى غير علم اللغة، منها: اللغويات، وعلم اللسان، واللسانيات، والألسنية، وعلم اللغة العام. وتنتشر بعض هذه التسميات أكثر من غيرها في مناطق معينة من العالم العربي. فعلم اللغة واللغويات غالباً ما يستعملان في المشرق العربي، والألسنية في بلاد الشام، وفي لبنان على وجه الخصوص[1]، كما يشيع استعمال اللسانيات بكثرة في المغرب العربي[2]، بالإضافة إلى مصطلحات أخرى لم تنتشر استعمالاتها؛ كعلم اللغات، ولِسانة، ولسانيَّة، ولِسْنِيَّات[3]. وفي السنوات العشر الأخيرة بدأت هذه المصطلحات تنتقل من منطقة عربية إلى أخرى، وتشيع في غير منطقتها الأصلية[4].

وجميع هذه المصطلحات يقابلها المصطلح الإنجليزي Linguistics، الذي يعني Science of Language، والمصطلح الفرنسي Linguistique، والمصطلح الألماني Linguistica، وجميعها ترجع في أصلها إلى الكلمة اللاتينية Lingua، التي تعني لغة أو لسان[5].

فروع علم اللغة:

أشرت من قبل إلى أن علم اللغة ينقسم فرعين أساسين هما: علم اللغة العام أو علم اللغة النظري، وعلم اللغة التطبيقي، وأن كلاً منهما يندرج تحته عدد من الفروع التي تتفرع أيضاً إلى فروع صغيرة. فعلم اللغة العام يشمل فروعاً منها:

١- علم اللغة التاريخي Historical Linguistics.

٢- علم اللغة المقارن Comparative Linguistics.

٣- علم اللغة الوصفي Descriptive Linguistics.

٤- علم اللغة الجغرافي Geolinguistics/Geographical Linguistic.

٥- فقه اللغة Philology.

٦- علم الأصوات Phonetics (النطقي والسمعي والفيزيائي).

٧- علم وظائف الأصوات المعروف بالفونولوجيا Phonology.

٨- علم الصرف Morphology.

٩- علم النحو/التراكيب Syntax.

١٠- علم الدلالة Semantics.

١١- علم المعاجم أو علم المفردات Lexicology.

١٢- علم اللغة التداولي Pragmatic Linguistics.

١٣- علم اللغة الإثني Anthropological Linguistics.

وعلم اللغة التطبيقي يشمل فروعاً منها:

١- تعلـيم اللغـات: الأم والأجنبـية First/Foreign Language Education.

٢- علم اللغة التعليمي Pedagogical Linguistics.

٣- اختبارات اللغة Language Testing.

٤- مختبرات اللغة Language Laboratories.

٥- علم اللغة النفسي Psycholinguistics.

٦- علم اللغة العصبي Neurological Linguistics.

٧- علم اللغة الأحيائي Biolinguistics/Biological Linguistics.

٨- علم اللغة الاجتماعي Sociolinguistics.

٩- علم اللغة الآلي أو الحاسوبي Computational Linguistics.

١٠- صناعة المعاجم Lexicography.

١١- علم الترجمة Translation.

١٢- محو الأمية Literacy.

١٣- علاج النطق Speech Therapy.

١٤- علم الأساليب Stylistics/Stylolinguistics.

١٥- تحليل الخطاب Discourse Analysis.

١٦- السياسة اللغوية Language Policy.

١٧- التخطيط اللغوي Language Planning.

وأنبه هنا إلى التداخل بين بعض فروع علم اللغة العام وفروع علم اللغة التطبيقي، فبعض هذه الفروع مشترك بين علم اللغة العام وعلم اللغة التطبيقي؛ بسبب تقارب في المصطلح أو في ميادين التطبيق. فعلم المعاجم Lexicology مثلاً علم نظري، لكنه يتداخل مع صناعة المعاجم Lexicography، الذي يعد علماً تطبيقياً.

كما أن بعض هذه العلوم يمكن أن يدرس دراسة نظرية من ناحية؛ فيدخل ضمن فروع علم اللغة العام، ويمكن أن يدرس دراسة تطبيقية من ناحية أخرى؛ فيدخل ضمن فروع علم اللغة التطبيقي. فعلم اللغة الحاسوبي مثلاً يمكن تصنيفه ضمن فروع علم اللغة العام أو النظري إذا استخدم في التحليل اللغوي، كما يمكن تصنيفه ضمن فروع علم اللغة التطبيقي إذا استخدم أو استخدمت نتائجه وتطبيقاته في تعليم اللغة، ومن ذلك تعليم اللغة بواسطة الحاسوب، وهو العلم المعروف بـ: Computer-Assisted Language Learning (CALL).

وأنبه أيضاً إلى أن من الباحثين من لا يرى تقسيم علم اللغة إلى فرعين: نظري وتطبيقي، بل يعدهما علماً واحداً يندرج تحته مجموعة من الفروع التي ترتبط ارتباطاً مباشراً بعلم اللغة الأصل، فيقسمه حسب المنهج الذي يسير عليه كل فرع إلى: علم اللغة التاريخي، وعلم اللغة الوصفي، وعلم اللغة العام، وعلم اللغة الوظيفي، وعلم اللغة البنائي، وعلم اللغة التحويلي التوليدي، وعلم اللغة المقارن، وعلم اللغة التطبيقي، وعلم اللغة النفسي، وعلم اللغة الاجتماعي، وعلم اللغة الإثني، وعلم اللغة الإحصائي، وعلم اللغة الحاسوبي، وهكذا[1].

الفصل الأول
تعريف علم اللغة النفسي ومجالاته وتاريخه

علم اللغة النفسي – موضوع هذا الكتاب – فرع من فروع علم اللغة، لكنه يقع في الجانب التطبيقي منه، أي يقع في مجال علم اللغة التطبيقي أو اللغويات التطبيقية Applied Linguistics[1]، بالنظر إلى أن معظم موضوعاته المعاصرة تقع في هذا الجانب، على الرغم من أن معظم هذه الموضوعات نشأت نشأة نظرية فلسفية، وبخاصة عند نوم تشومسكي وأتباعه من اللغويين المعرفيين الذين لم يهتموا بالجوانب اللغوية التعليمية.

وهذا العلم من العلوم الحديثة التي لم تتضح معالمها و لم تستقل استقلالاً تاماً إلا في النصف الثاني من القرن العشرين[2]، وذلك إثر ظهور الاتجاه المعرفي الفطري في علم اللغة الذي يعد ثمرة الالتقاء الحقيقي بين علم اللغة وعلم النفس؛ إحلالاً للاتجاه العقلاني المعرفي النفسي في النظرة إلى طبيعة اللغة، وأساليب اكتسابها وتعلمها وتعليمها – محل الاتجاه السلوكي النفسي المرتبط بعلم اللغة البنيوي.

تعريفه:

ورد في المصادر اللغوية النفسية عدد من التعريفات لهذا العلم، تتشابه في جوانب معينة وتختلف في جوانب أخرى؛ بحسب خلفيات أصحابها، واختلاف نظراتهم إلى هذا العلم، وترتيب موضوعاته. فقد عرفه ديفيد كريستال David Crystal في معجمه اللغوي النظري: A Dictionary of Linguistics and Phonetics، بأنه: فرع من فروع علم اللغة، يدرس العلاقة بين السلوك اللغوي والعمليات النفسية التي يُعتقد أنها تفسر ذلك السلوك[1].

وعـرفه جاك ريتشاردز Jack Richards، وجون بلات John Platt، وهيدي بلات Heidi Platt في معجمهم اللغــوي التطبيقــي: Longman Dictionary of Language Teaching and Applied Linguistics، بأنـه: العلـم الـذي يهـتم بدراسـة العمليات العقلـية الـتي تـتم في أثناء استعمال الإنسان للغة فهماً وإنتاجاً، كما يهتم باكتساب اللغة نفسها(٢).

وعـرفه كرسـتن مالمكجايـر Kreston Malmkjaer وجيمس أندرسون James Anderson في موســوعتهم اللغــوية: The Linguistics Encyclopedia، بأنـه: العلـم الـذي تـتكاتف فـيه الـرؤى والجهـود اللغـوية والنفسية لدراسة الجوانب المعرفية التي تفسر فهم اللغة وإنتاجها(٣).

أمـا عـالم اللغة النفسي ألن جارنهام Allen Granham فقد وصف هذا العلم في كتابه: Psycholinguistics: Central Topics، بأنه ميدان علمي تجـريبي، وعرفه بأنه: علم يدرس الآليات العقلية التي يستطيع الإنسان بواسطتها اسـتعمال اللغـة؛ بهـدف الوصـول إلى نظـرية مفهـومة تفـسر إنـتاج اللغـة واستعمالها(١).

أمـا الباحثة النفسية جين بيركو جليسون Jean Berko Gleason، فقد عرفته في كتابها: Psycholinguistics، تعريفاً نفسياً لغوياً، أقرب إلى ميدان علم النفس منه إلي ميدان علم اللغة، فقالت: إنه العلم الذي يهتم بالكشف عن العمليات النفسية التى تقود الإنسان إلى اكتساب اللغة واستعمالها(٢).

وقـريب مـن هـذا التعـريف النفـسي اللغـوي تعريف جين كيرون Jean Caron، أسـتاذة علـم الـنفس في جامعة بويتيرز الكندية، لهذا العلم في كتابها An Introduction to Psycholinguistics، حيــن عـرفتــه بأنـــه: الدراسـة العلمية التجريبية للعمليات النفسية التي تحدث في داخل العقل البشري، التي بها يكتسب الإنسانُ اللغةَ الإنسانية الطبعية ويستعملها(٣).

والملاحظ أن هذه التعريفات تتفق على أن علم اللغة النفسي علم يهتم بدراسة السلوك اللغوي للإنسان، والعمليات النفسية العقلية المعرفية التي تحدث في أثناء فهم اللغة واستعمالها، التي من بها يكتسب الإنسان اللغة، لكنها تختلف في تصنيف هذا العلم وتناول موضوعاته وترتيبها حسب أهميتها. فالتعريفات الأربعة الأولى تعريفات لغوية ينظر مؤلفوها إلى هذا العلم نظرة لغوية نفسية، أما التعريفان الأخيران فينظر مؤلفهما إلى هذا العلم نظرة نفسية لغوية. وسوف يتضح الفرق بين النظرتين في الفقرة التالية.

علم اللغة النفسي أم علم النفس اللغوي؟

يتعاور هذا العلم مصطلحان: أحدهما علم اللغة النفسي Psycholinguistics، والآخر: علم النفس اللغوي Psychology of Language، فهل ثمة فرق بين المصطلحين؟ أم أنهما مصطلحان لمسمى واحد، وأن الأمر لا يعدو تلاعباً بالألفاظ؟

يرى فريق من الباحثين أن المصطلحين مترادفان، وأنهما اسمان لعلم واحد؛ عرف أول الأمر بعلم النفس اللغوي، ثم تطور فأضيف إليه مصطلح آخر هو علم اللغة النفسي، كغيره من العلوم النفسية المرتبطة بالعلوم الأخرى؛ كالتربية، والصحة النفسية، وعلم الاجتماع، وعلم اللغة وما شابهها من العلوم التي تفرع منها علوم مركبة من جزأين؛ كعلم النفس التربوي، وعلم النفس العيادي، وعلم النفس الاجتماعي، بالإضافة إلى علم النفس اللغوي.

غير أن المتتبع للدراسات اللغوية والنفسية والتربوية يدرك أن ثمة فروقاً دقيقة بين المصطلحين، سواء من الناحية التاريخية أم من الناحية الوظيفية. فمن الناحية التاريخية، يلاحظ أن مصطلح علم النفس اللغوي Psychology of Language، أسبق في الظهور من مصطلح علم اللغة النفسي

Psycholinguistics؛ فقد ظهر الأول في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وظهر الثاني في بداية النصف الثاني من القرن العشرين[1].

ومن الناحية الوظيفية يعد الأول فرعاً من فروع علم النفس Psychology، ويعد الثاني فرعاً من فروع علم اللغة Linguistics، ولكل واحد منهما وظائفه ومجالاته. فعلم النفس اللغوي، أو سيكولوجية اللغة كما يسميه علماء النفس، فرع من فروع علم النفس؛ يهتم بعلم نفس اللغة؛ فيدرس اللغة بوصفها مكوناً من المكونات النفسية، وظاهرة من ظواهر النفس البشرية، ويتناولها أداة لشرح المفاهيم النفسية؛ كالذكاء والذاكرة والانتباه والخوف وعيوب النطق والتعلم، وتحديد وظائفها في السلوك، كما يهتم بالحديث المفصل عن المذاهب النفسية المختلفة في تعليم الأطفال.

أما علم اللغة النفسي فهو فرع من فروع علم اللغة، يهتم أصحابه بالتفسير اللغوي للعمليات العقلية ذات العلاقة بفهم اللغة واستعمالها واكتسابها، كما يهتمون بالبحث في أثر القيود النفسية على فهم اللغة واستعمالها، وبخاصة ما يتعلق بالذاكرة[2]. وقد ظهر علم اللغة النفسي في الساحة اللغوية علماً مستقلاً بهذا المفهوم عندما طرح اللغوي الأمريكي نوم تشومسكي نظرياته وآراءه حول طبيعة اللغة ووظيفتها، ومنهج دراستها وتحليلها، وأساليب اكتسابها، تلك النظريات والآراء التي تعد ثورة على البنيويين الذين ينظرون إلى اللغة نظرة شكلية فقط، وعلى السلوكيين الذين يرون أنها سلوك آلي تكتسب كما تكتسب العادات السلوكية الأخرى.

لقد رفض تشومسكي هذه النظرة الشكلية السطحية للغة، ودعا إلى التعمق فيها، ودراسة جوانبها وأسرارها العقلية المعرفية؛ لأن اللغة - في نظره - ليست أشكالاً سطحية فحسب، وإنما هي - بالإضافة إلى ذلك - أبنية عميقة، ونظام فطري عالمي، كامن في عقل كل إنسان مهما كانت لغته الخاصة وبيئته وثقافته[1].

وقد أدت هذه النظرة إلى تغيير المفاهيم الأساسية لدراسة اللغة، وأكدت أن دراسة اللغة ينبغي أن تتجه إلى الجوانب اللغوية النفسية، وهي البحث في اكتساب اللغة وتعلمها وعملية الاتصال والعمليات العقلية المرتبطة بذلك، تلك الجوانب التي هي وظيفة الباحث في علم اللغة النفسي. وقد أدت هذه النظرة - أيضاً - إلى تحويل الدراسات اللغوية من دراسات نظرية تهتم بوصف الجوانب البنيوية الشكلية للغة فقط، كالأصوات والصرف والنحو والمعجم، إلى دراسات لغوية نفسية تهتم بالمعنى والجوانب العقلية المعرفية في اللغة وعدم الاقتصار على وصفها وصفاً شكلياً آلياً[2]. وهذا مما يقود إلى الاعتقاد بأن علم اللغة بالمفهوم المعرفي الفطري الحديث هو نفسه علم اللغة النفسي، أو أن علم اللغة النفسي هو الوجه الحقيقي لعلم اللغة، وأن تشومسكي نفسه عالم لغة نفسي Psycholinguist[1].

وعلى الرغم من أن تشومسكي حاز قصب السبق ونال الشهرة الواسعة في عدد من النظريات والآراء اللغوية النفسية التي سيطرت على الدراسات اللغوية في العقود الأخيرة من القرن العشرين، فإن علم اللغة النفسي المعاصر لم يقتصر على الآراء والموضوعات التي طرحها تشومسكي ودعا إلى الأخذ بها، وإنما شمل موضوعات أخرى، استمدت من علم النفس المعرفي وعلم اللغة

العصبي وعلم اللغة التطبيقي وعلم اللغة الاجتماعي وعلم اللغة الإثني وعلم النفس وعلم التربية، أو ارتبطت بها من العلوم التي قربت هذا العلم إلى الميادين التطبيقية. بل إن عدداً من طلاب تشومسكي وأتباعه، ممن اشتغلوا بعلم النفس المعرفي وعلم نفس النمو اللغوي، قد طرحوا قضايا لغوية نفسية[٢] طرحاً أدق مما كان يطرحه تشومسكي نفسه، وطبقوها على ميادين لم يكن تشومسكي يرى إمكان تطبيقها عليها، وبخاصة ميدان تعليم اللغات: الأم والثانية والأجنبية؛ لأنه كان مشغولاً بإثبات آرائه ونظرياته إثباتاً فلسفياً جدلياً، غير معتمد على معلومات علمية، ولا مدوَّنات لغوية من أطفال أو بيئات لغوية حقيقية.

ومن الملاحظ أن معظم المؤلفات العربية في هذا العلم، خاصة ما نشر منها في السبعينيات والثمانينات من القرن العشرين، تفضل مصطلح علم النفس اللغوي على مصطلح علم اللغة النفسي. وهذا أمر طبعي؛ لأن مؤلفيها كانوا من المتخصصين في علم النفس أو في التربية أو في علم النفس التربوي[١]، أو من المتأثرين بهم[٢]. وربما استعمل بعضهم مصطلح علم اللغة النفسي واهتم - في الوقت نفسه - بموضوعات علم النفس اللغوي[٣]. أما اللغويون فيستعملون في كتاباتهم مصطلح علم اللغة النفسي وربما استعملوا مصطلحات قريبة منه عنوانات لكتاباتهم؛ مثل: علم اللغة وعلم النفس، والعلاقة بين علم اللغة وعلم النفس، ونحو ذلك[٤].

وسواء استعملنا المصطلح الأول (علم اللغة النفسي) أو المصطلح الثاني (علم النفس اللغوي)، فكلاهما يدل على علاقة وثيقة بين علم اللغة وعلم النفس؛ بسبب العلاقة الوثيقة بين اللغة الإنسانية والنفس البشرية؛ إذ لا يطلق على الكلام لغة إلا إذا أدى وظيفة نفسية قائمة على التحليل والتصور وردود

الفعل، كما أن اللغة لا يمكن دراستها بمعزل عن العوامل النفسية والعقلية والاجتماعية، مثلما أنه لا تغفل الجوانب الشكلية من اللغة.

غير أن طبيعة الدراسات اللغوية النفسية وتوجهاتها في الوقت الحاضر تقود إلى الأخذ بمصطلح علم اللغة النفسي وترجيحه على مصطلح علم النفس اللغوي؛ نتيجة اهتمام اللغويين المعاصرين بدراسة اللغة دراسة نفسية.

موضوع علم اللغة النفسي

من الواضح أن موضوع علم اللغة النفسي هو اللغة نفسها[1]، أي: دراسة اللغة والبحث فيها وصفاً وتحليلاً واكتساباً وتعلماً وتعليماً. بيد أن هذه الدراسة تنطلق من المفهوم اللغوي المعرفي الفطري المعاصر الذي يرى أن وظيفة اللغوي هي الغوص في أعماق اللغة والبحث في جوانبها النفسية المعرفية، وما يرتبط بذلك كله من نواح فسيولوجية واجتماعية؛ للوقوف على ما يعرفه الإنسان عن اللغة، بدلاً من الاقتصار على وصفها وصفاً شكلياً ينحصر في الأصوات والصرف والنحو والدلالة.

فموضوع علم اللغة النفسي – إذن – هو نفسه موضوع علم اللغة عند اللغويين المعرفيين الفطريين، بيد أن بين العلمين تداخلاً في الموضوعات والمجالات والأهداف، بل إن نتائج البحث في علم اللغة النفسي تجيب عن الكثير من الأسئلة التي يبحث اللغويون المعرفيون عن إجابات مقنعة لها، وبالتالي يحقق الأهداف التي يسعون إلى تحقيقها من دراسة اللغة.

أهداف علم اللغة النفسي ومجالاته

إن أهم أهداف علم اللغة النفسي هو الإجابة عن السؤال التالي: كيف يكتسب الإنسان اللغة وكيف يستعملها؟ ويتفرع عن هذا السؤال أسئلة أخرى يسعى علم اللغة النفسي إلى الإجابة عنها مثل: كيف يفهم الإنسان الكلام وكيف ينتجه؟ وما وظيفة القواعد العقلية في العمليات التواصلية؟ وما الآليات

العصبية التي تتحكم في ذلك؟ وما المشكلات التي تؤثر في اكتساب اللغة وفهمها واستعمالها؟ لذا فإن مجالات هذا العلم وموضوعاته يمكن إيجازها في النقاط الآتية:

١- فهم اللغة، سواء أكانت منطوقة أم مكتوبة؛ حيث يركز في هذا المجال على الدراسة التفصيلية للعمليات العصبية والعقلية، المستخدمة في فهم اللغة؛ كاستقبال الرسالة اللغوية، والتعرف عليها، وتحديد معنى الكلمات في الرسالة، وفهم جملها بعد تحليلها تحليلاً نحويا وصرفياً، وضم هذه الجمل بصورة متماسكة تؤدي إلى فهم الفقرة أو الفقرات التي تكوّن في مجملها رسالة متماسكة مفهومة[١].

٢- استعمال اللغة، أو إصدار الكلام؛ حيث يركز في هذا المجال على إنتاج الكلام بدءاً بالعمليات النفسية التي تسبق الكلام، ومروراً بإنتاج الكلام نفسه فسيولوجياً، ثم مروره بالوسط الفيزيائي الناقل له، حتى وصوله إلى أذن السامع، وما يرتبط بهذه العمليات من مراحل، وما يحدث من مشكلات في نقل الرسالة[٢].

٣- اكتساب اللغة؛ سواء أكانت لغة أماً أمْ لغة ثانية أو أجنبية، لكن الدراسات في هذا المجال غالباً ما تركز على اكتساب الأطفال لغاتهم الأم، وهو المجال المعروف بـ: Developmental Psycholinguistics، ذلك الميدان الذي سيطر على الساحة اللغوية النفسية منذ أواخر القرن العشرين[١].

٤- العمليات التواصلية وما يرتبط بها من نواح فسيولوجية وفيزيائية وسمعية وعصبية، والعوامل المؤثرة في ذلك، سواء أكانت عوامل داخلية أم عوامل خارجية.

٥- المشكلات والاضطرابات اللغوية؛ كعيوب النطق الخلقية، أو العيوب اللغوية التي تحدث نتيجة إصابة عضو من أعضاء النطق أو السمع أو البصر أو ما يرتبط بها من أعصاب أو أجهزة في مراكز اللغة في الدماغ[٢].

٦- الثنائية اللغوية Bilingualism والتعددية اللغوية Multilingualism، ودراسة ما يتعلق بهما من مسائل ومشكلات في اكتساب اللغات الأم أو الثانية.

٧- دراسة العمليات النفسية التي تحدث في أثناء القراءة؛ تلك العمليات التي أصبحت علماً مستقلاً أطلق عليه علم القراءة النفسي أو علم نفس القراءة، المعروفة بسيكولوجية القراءة Psychology of Reading، سواء في اللغة الأم أم في اللغة الثانية أو الأجنبية[٣].

٨- لغة الإشارة عند الصم من حيث الاستعمال والاكتساب والتقعيد وما يتعلق بها من قضايا ومشكلات لغوية ونفسية واجتماعية.

٩-الذكاء الصناعي Artificial Intelligence، الذي ازدهرت الدراسات فيه في السنوات الأخيرة؛ نتيجة ثورة المعلومات الحاسوبية.

هذه هي المجالات الأساس في علم اللغة النفسي، وهناك موضوعات نظرية يضيفها اللغويون بوصفها تمهيداً للدراسة في الميدان أو جزءاً منه؛ كالنظام اللغوي بمستوياته الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، وربما أضاف النفسيون موضوعات أخرى تهمهم في التعلم والتعليم؛ كالذكاء وكالذاكرة واضطرابات النطق وغيرها، إضافة إلى الموضوعات والمجالات اللغوية العصبية Neurolinguistics.

نشأة علم اللغة النفسي ومراحل نموّه :

لم تخل كتابات اللغويين، منذ نشأة علم اللغة في أواخر القرن التاسع عشر، من الإشارات إلى أهمية الجوانب النفسية في دراسة اللغة، بيد أن نشأة علم اللغة النفسي كانت نتيجة الالتقاء ثم التزاوج بين علم اللغة وعلم النفس. لكن هذا التزاوج لم يحدث فجأة، ولم يكتمل بناء العلم الوليد - نتيجة هذا التزاوج - في فترة زمانية واحدة، وإنما استغرق فترة تجاوزت نصف قرن، مر خلالها بمراحل وتأثر بنظريات ومذاهب وآراء لغوية ونفسية واجتماعية، واستفاد من علوم مختلفة، وانتهت هذه المراحل بظهور علم اللغة النفسي علماً مستقلاً تغلب عليه النزعة اللغوية وفق المفهوم الشامل للغة. وهذه المراحل يمكن تقسيمها إلى خمس: مرحلة ما قبل البنيوية، والمرحلة البنيوية السلوكية، ومرحلة التأسيس، ومرحلة الاستقلال، والمرحلة العلمية المعرفية.

المرحلة الأولى: مرحلة ما قبل البنيوية:

من المعروف أن الدراسات النفسية سبقت الدراسات اللغوية الحديثة؛ لذا تطورت جوانب من علم اللغة النفسي وفق مفاهيم علم النفس ونظرياته قبل أن تتضح رؤية اللغويين للجوانب النفسية في دراسة اللغة. فقد أشارت بعض المصادر إلى أن علم اللغة النفسي مر بمرحلة ازدهار وفق نظريات علم النفس ومذاهبه في بداية القرن العشرين، في الوقت الذي لم تصدر فيه الطبعة الأولى من محاضرات رائد علم اللغة الحديث فرديناند دي سوسير[1]. وقد ظهرت هذه المرحلة (النفسية) في أوربا على يد وليام فند Wilhelm Wundt (١٨٣٢-

١٩٢٠م) المؤسس الأول لهذا العلم وفق مفاهيم علم النفس، عندما أشار إلى أن دراسة اللغة لا تتم بمعزل عن الأسس النفسية. لكن هذا العلم يعرف بهذا الاسم (علم اللغة النفسي) في تلك المرحلة[١].

ويمكن القول بأن اهتمام اللغويين بالجوانب النفسية من اللغة بدأ مع ظهور علم اللغة الحديث في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حين دعا اللغويون إلى دراسة اللغة دراسة علمية، بما في ذلك الجوانب النفسية المعرفية، وبخاصة ما يتعلق بالسلوك اللغوي واكتساب اللغة. فهذا رائد علم اللغة الحديث، فرديناند دي سوسير (١٨٥٧-١٩١٦م)، يعرّف اللغة بأنها نظام من الإشارات أو العلامات اللغوية، ويرى أن كل إشارة مرتبطة بمشير صوتي لغوي يسميه الدالّ، يتحد مع تصور ذهني يسميه المدلول، وهو الشيء المتحدَّث عنه أو المشار إليه، والعلاقة بين الدال والمدلول علاقة رمزية اعتباطية، ثم يؤكد أن الإنسان يكتسب اللغة من خلال التمييز بين الإشارات أو العلامات اللغوية المختلفة والتفريق بينها[٢].

وتحدث دي سوسير حديثاً مباشراً عن ارتباط علم اللغة بعلم النفس، وبخاصة علم النفس الاجتماعي؛ حيث قال في محاضراته: «فكل ما في اللغة إنما هو في جوهره نفسي، بما في ذلك مادة اللغة ومظاهرها الآلية»[٣]. بل إنه أشار إلى مركز اللغة في الدماغ، وهي منطقة بروكا Broca's Area الموجودة في الجزء الأمامي من الجانب الأيسر من الدماغ، مؤكداً أن ما يحدث للإنسان من

اضطرابات في الكلام أو الكتابة نتيجة خلل في هذا الجزء، دليل على أهمية اللغة، التي يصفها بأنها ملكة حقيقية، تؤديها حركات الأعضاء، وتتحكم فيها ملكة عقلية عامة[1]. ورسم لدائرة الكلام - بين المتحدث والسامع - رسماً لغوياً نفسياً؛ فقسمه إلى أربعة أجزاء، كل جزء يمثل مجموعة أو صنفاً، ووصفها على النحو الآتي:

١- جزء خارجي يضم الرنات الصوتية التي تخرج من الفم وتسير إلى الأذن، وجزء داخلي يضم الأمور الأخرى.

٢- جزء نفسي وآخر غير نفسي، ويضم الجزء الثاني الأعمال الفسيولوجية التي تقوم بها الأعضاء الصوتية، ويضم الحقائق الفيزيائية الواقعة خارج الفرد.

٣- جزء إيجابي فعال وآخر سلبي غير فعال، فكل شيء ينتقل من مركز الارتباط للمتكلم إلى أذن السامع إيجابي فعال، وكل شيء ينتقل من أذن السامع إلى مركز الارتباط عنده سالب غير فعال.

٤- كل الأشياء الفعالة في الجزء النفسي من الدائرة تقوم بالتنفيذ، وكل الأشياء غير الفعالة تقوم بالاستقبال[2].

وعلى الرغم من ذلك، فإن علم اللغة النفسي في هذه المرحلة لم يتعد الإشارات إلى أهمية الجوانب النفسية في دراسة اللغة والدعوة إلى دراستها دراسة علمية، ولم تجر دراسات لغوية نفسية مستقلة في هذه المرحلة؛ لأسباب كثيرة من أبرزها: انشغال فريق من اللغويين بوضع قواعد للدراسات الوصفية

الشكلية، واهتمام فريق منهم بالدراسات اللغوية الاجتماعية، واعتقاد فريق آخر بصعوبة دراسة اللغة دراسة نفسية علمية دقيقة.

المرحلة الثانية: المرحلة البنيوية السلوكية:

إن إشارات اللغويين إلى أهمية الجوانب النفسية من اللغة، والدعوة إلى دراستها دراسة علمية لا تعد بداية حقيقية لعلم اللغة النفسي، كما بينت في الفقرة السابقة. فالنشأة الحقيقية لهذا العلم كانت نتيجة الالتقاء بين علم اللغة وعلم النفس، ذلك الالتقاء الذي انتهى بالتزاوج بين العلمين على يدي كل من عالم النفس السلوكي بروس سكنر B. Skinner (١٩٠٤-١٩٩٠م) واللغوي البنيوي ليونارد بلومفيلد وذلك في منتصف القرن العشرين، حيث كان الأول زعيم المدرسة النفسية السلوكية والثاني زعيم المدرسة اللغوية النبوية، خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية[١].

لقد فسر سكنر اللغة بأنها سلوك إنساني آلي، تكتسب بطريقة حسية آلية كما تكتسب الجوانب الأخرى من السلوك الإنساني، كالجري ولعب الكرة والسباحة وقيادة السيارة والضرب على الآلة الكاتبة، ونحو ذلك من أنواع السلوك الآلي. وهذا التفسير يتفق مع النظرة البنيوية للغة التي تنظر إليها نظرة شكلية سطحية.

وفي الوقت نفسه اعتنق بلومفيلد هذه النظرة السلوكية الحسية الآلية، كما هي عند سكنر وأسلافه، أمثال جون واطسون John Watson (١٨٧٨-١٩٥٨م) وبول فايس Paul Weis (١٨٠٠-١٩٠٠م) وغيرهما؛ لأنها تتفق مع نظرته البنيوية الشكلية للغة. ويبدو أن بلومفيلد لم يتأثر بهؤلاء

السلوكيين وحسب، وإنما تأثر بالآراء النفسية لدى علماء النفس في وقت مبكر من القرن العشرين، أي قبل ظهور سكنر وسيطرة المدرسة السلوكية على الميدان؛ بدليل إشادته بعلم النفس كما هو عند وليام فند، وذلك في كتابه: مدخل إلى دراسة اللغة Introduction to the Study of Language الذي أصدره عام ١٩١٤م. لكن بلومفيلد غيَّر نظرته هذه إلى اكتساب اللغة بعد اتصاله برواد المدرسة السلوكية في الثلاثينيات من القرن العشرين، وبدت هذه النظرة الجديدة واضحة في مراجعته لهذا الكتاب الذي أصدره مرة أخرى عام ١٩٣٣م، بعنوان: اللغة Language.

لقد تأثر اللغوي البنيوي الأمريكي بلومفيلد بهذه الآراء السلوكية في اكتساب اللغة، واستطاع أن يكوِّن مدرسة لغوية نفسية مستقلة ذات معالم واضحة، هي المدرسة السلوكية التي نسبت إليه شخصياً، فعرفت بمدرسة بلومفيلد Bloomfieldian School، وهي تمثل الاتجاه السلوكي البنيوي الذي جمع بين المذهب البنيوي في علم اللغة والمذهب السلوكي في علم النفس. وبناء على ذلك، يرى بلومفيلد أن اللغة مظهر من مظاهر السلوك الإنساني الآلي الخاضع لقانون المثير والاستجابة دون ارتباط بالتفكير العقلي[١]. أي إن الإنسان في سلوكه اللغوي يشبه الحيوان أو الآلة، وأن اللغة ليست إلا نوعاً من الاستجابات الصوتية لحدث معين يَثبُت منها ما يلقى حافزاً أو تعزيزاً إيجابياً في حالة الصحة، فيصبح سلوكاً أو عادة، أي يُكتسب، وينطفئ منها ما لم يكن كذلك، أي يُنسى فلا يُكتسب[٢].

بهذا الميدان إلى الإنتاج والاستقلال. وكان من أشهر هؤلاء تشارلز أوسكود Charles Osgood (١٩١٦م -) وإدوارد تولمان Edward Tolman (١٨٨٦-١٩٥٩م) ومورر O. H. Mowrer[١].

لقد ظهرت بوادر هذا التحول منذ عام ١٩٥٠م عندما اقترنت الدراسات اللغوية النفسية بعلم آخر هو علم المعلومات Information Science؛ وذلك نتيجة اقتراب هذا العلم الأخير إلى علم اللغة. ثم تُوِّج هذا الاقتران بالاتصال الذي تم بين باحثين في علم اللغة وعلم النفس في جامعة كُرْنيل Corneal University في صيف عام ١٩٥١م، من خلال ندوة كانت بعنوان: Social Science Research Council Summer برئاسة Charles Osgood.

وتلا ذلك اللقاء لقاء آخر في جامعة إنديانا Indiana University بالتنسيق مع معهد علم اللغة عام ١٩٥٣م، وقام كل من أسكود وسيبك Sebeok بعرض علم اللغة النفسي تاريخياً في كتاب أصدراه عام ١٩٥٤م بعنوان: Psycholinguistics: A survey of theory and research problems (علم اللغة النفسي: مسح للنظرية ومشكلات البحث)[٢]. ثم تلا ذلك عدة لقاءات فندوات تحت عنوانات مختلفة؛ لتأصيل هذا العلم الجديد، بالإضافة إلى مناقشات حول الكليات اللغوية Linguistic Universals.

وقد ساعد على إنجاح مرحلة التأسيس هذه دخولُ شريك ثالث في الميدان هو علم المعلومات Information Science أو النظرية المعلوماتية Information Theory، المنبثقة من أفكار مهندسي الاتصالات في ذلك

الـوقت أمـثال شانون Shannon، وسيبوك Sebeok، وويفيـــر Weaver، وغيرهـم ممـن كانـوا يعملـون مـع شـركة بـل الأمريكية للاتصـــالات Bell Communication. وكـان لهـذا الـشريك الجديـد دور في تحديـد بعـض المصطلحات في إنتاج الكلام وفهمه والاستفادة منها في تفسير الكلام، وبخاصة مـصطلح إرسـال الرسـالة اللغـوية وفهمهـا بجمـيع مـراحلها المتمثلة في إصدار الـصوت وإرسـاله عبر وسط فيزيائي، ثم استقباله والتعرف عليه وتفسيره. وقد تميزت هذه المرحلة بغلبة الجانبين النفسي والمعلوماتي على الجانب اللغوي[1].

وبهذا أصبح علم اللغة النفسي - في هذه المرحلة - مكوناً من ثلاثة علوم، هـي: علم اللغة، وعلم النفس، وعلم المعلومات. لكن علم النفس بدأ منذ ذلك الـوقت يبـتعد عن النظرة السلوكية للغة في الوقت الذي بدأ فيه علم اللغة يبتعد عـن البنـيوية؛ نتـيجة الانـتقادات الموجهة إليهما. أما علم المعلومات فقد كانت مـشاركاته لأغراض بحثية، تمثلت في أعمال المهندس شانون Shannon، الذي شـارك في دراسة عن الاحتمالية probability ودورها في نوعية الاستجابات، ممثلاً لشركة بل الأمريكية للاتصالات.

لقـد كان لعلم المعلومات إذن وظيفة لا تنكر في تطوير البحوث في مرحلة مـن المراحل التي مر بها علم اللغة النفسي؛ حيث قدم لهذا العلم إطاراً نظرياً في التعـرف علـى الأصـوات وتحليلها، وتفـسير العلاقـة بـين المـتحدث والـسامع، وبخاصـة عمليات تحـويل المرسـل (المـتحدث) رسـالته encoding إلى رمـوز كلامـية صـوتية وإرسـالها إلى الـسامع، وقـيام الـسامع (المستقبل) بفك رموزها decoding، وفهمهـا. ومـثل ذلـك تحـويل الـرموز الصوتية إلى كتابة مقروءة،

وتحويل الرموز الكتابية إلى أصوات. ونبه علم المعلومات أيضاً إلى ضرورة دراسة مرحلة معالجة المعلومات العقلية الداخلية التي تتم بين استقبال الدخل اللغوي linguistic input وتحويله إلى مُخرَج لغوي مفهوم linguistic output، لكن علم المعلومات سرعان ما خرج من هذا الاتحاد، وبقي فيه علم اللغة وعلم النفس وحدهما.

المرحلة الرابعة: مرحلة الاستقلال:

يقصد بالاستقلال في هذه المرحلة استقلال علم اللغة النفسي عن علم النفس وتبعيته إلى علم اللغة نتيجة غلبة القضايا اللغوية فيه على القضايا النفسية، حتى أطلق على هذه المرحلة: المرحلة اللغوية Linguistic Period. وهذه المرحلة هي مرحلة النشأة الحقيقية لعلم اللغة النفسي التي مهدت لاستقلاله، وقد بدأت في أواخر الخمسينيات من القرن العشرين، حينما أفصح اللغوي الأمريكي نوم تشومسكي عن آرائه حول طبيعة اللغة، وأساليب دراستها وتحليلها، وطرائق اكتسابها، من خلال كتابه الموسوم بالأبنية النحوية Syntactic Structures الذي أصدره عام ١٩٥٧م، وكتاباته التي نشرها في مجلة اللغة Language وغيرها في أواخر الخمسينيات من القرن العشرين.

استهل تشومسكي كتاباته هذه بالهجوم على البنيوية والبنيويين بسبب نظرتهم السطحية للغة، وعلى السلوكية والسلوكيين بسبب تفسيرهم لاكتسابها تفسيراً آلياً، وخص عالم النفس السلوكي سكنر بنصيب وافر من هذا الهجوم. وكانت النظرية التحويلية التوليدية Transformational-Generative Theory في تلك الأيام أوسع نظرية لغوية شرح تشومسكي فيها نظرته لطبيعة اللغة ومنهج دراستها وأساليب اكتسابها، وقدم فيها عدداً

من المفاهيم اللغوية النفسية التي خالف فيها أسلافه من البنيويين والسلوكيين؛ كضرورة التفريق بين البنية السطحية والبنية العميقة في التحليل اللغوي، والتفريق بين الكفاية اللغوية والأداء في اكتساب اللغة، والتأكيد على الجانب الإبداعي في اكتساب اللغة واستعمالها، وضرورة الاعتماد على المبادئ اللغوية العامة التي تمثلت في القواعد الكلية، ونحو ذلك.

وقد أوجز تشومسكي مفهومه للغة، في نظريته هذه بأنها نظام فطري كامن في عقل الإنسان منذ الولادة، يتحكم فيه جهاز وهمي أطلق عليه: جهاز اكتساب اللغة Language Acquisition Device (LAD)، ويستطيع الإنسان بواسطته، ومن خلال عدد محدود من الجمل التي يسمعها بلغته، أن ينتج أو يولد عدداً غير محدود من الجمل ولو لم يسمعها من قبل، وأن يحكم - بالصحة أو الخطأ - على ما يسمعه منها. وهذا الإنسان قادر على تحويل المعنى العميق في ذهنه إلى شكل أو أشكال سطحية مفهومة من خلال قواعد تحويلية توليدية، فصلها تشومسكي وذكر شروطها وأنواعها في نظريته التوليدية التحويلية[1].

ويعتقد تشومسكي أن وصف اللغة ينبغي أن يركز على هذا الجانب العقلي المعرفي، أي وصف القواعد المحدودة، وكيفية إنتاجها جملاً غير محدودة، والعوامل التي تتحكم في ذلك، وعدم الاقتصار على وصف البناء السطحي للغة، وأن الكفاية اللغوية أولى بالدراسة والتحليل من الأداء اللغوي[1].

ثم طوّر تشومسكي نظريته اللغوية النفسية هذه إلى ما عرف بالنظرية المعيارية The Standard Theory وشرحها في كتاب أصدره عام ١٩٦٥م،

وسماه: جوانب من النظرية النحوية Aspects of the theory of syntax. ركز في هذا الكتاب على التراكيب اللغوية، والمعاني الدلالية التي عبر عنها بالأبنية العميقة Deep Structures في مقابل الأبنية السطحية Surface Structures، ثم تحدث عن المفردات المعجمية وكيف يمكن إدخالها لتكوين البنية العميقة. وشرح المقصود بالكفاية اللغوية competence التي يعني بها المعرفة الضمنية بقواعد اللغة، وفرّق بينها وبين الأداء اللغوي performance الذي يعني به الاستخدام الفعلي للغة، كما أبان عن آرائه في اكتساب اللغة ومراحل النمو اللغوي(٢).

ولعل ما قدمته عن آراء تشومسكي اللغوية كاف لتوضيح الملامح العامة عن المنهج المعرفي الفطري الذي استطاع من خلاله تحويل الدراسات اللغوية من دراسات نظرية مجردة لأبنية شكلية، إلى دراسة لغوية نفسية عميقة تهتم باللغة بوصفها ظاهرة إنسانية فطرية عقلية، تظهر في شكل أبنية سطحية يصعب الوقوف على حقيقتها دون تحليل جوانبها العقلية والسطحية.

المرحة الخامسة: المرحلة العلمية المعرفية:

تتمحور في نقطتين:

أولاهما: التركيز على الناحية النفسية من خلال دراسة استراتيجيات الأداء اللغوي، الذي يفترض أنه يعكس القدرة اللغوية، بدلاً من التركيز على وصف الكفاية اللغوية وصفاً فلسفياً عقلانياً.

والأخرى: رفض الاقتصار في تفسير السلوك اللغوي على نظرية واحدة؛ كالنظرية التوليدية التحويلية أو النظرية الفطرية، بل رأى أولئك

المعرفيون أن يختار الباحث من آراء اللغويين والنفسيين والاجتماعيين والفلاسفة ما يخدم الميدان، ويفسر السلوك اللغوي تفسيراً مقبولاً.

لقد تميزت هذه المرحلة بالاستفادة مما تستفيد منه العلوم الحديثة من أدوات ووسائل بحثية، وبخاصة علم الحاسوب الذي بني على أساس من بنية العقل البشري ووظائفه. وتميزت هذه المرحلة بزيادة التفاعل بين علم اللغة النفسي وعلم النفس المعرفي Cognitive psychology؛ فازداد الاهتمام بدراسة العمليات العقلية التي تحدث في أثناء فهم الكلام وإنتاجه، التي ظهرت أهميتها في تفسير اكتساب اللغة وتعلمها، مما فتح آفاقاً جديدة في البحث عن أجزاء الدماغ وتقسيماته ووظائفه، والبحث في مراكز اللغة فيه.

ولقد تميزت هذه المرحلة أيضاً باتساع المداخل حول دراسة اللغة؛ فبدلاً من التركيز على النحو الذي كان سائداً في الستينيات عند تشومسكي، زاد الاهتمام بالدلالة، والبحث عن كيفية إيصال المتحدث الرسالةَ إلى السامع، ثم ترجمة السامع لهذه الرسالة، بالإضافة إلى الاهتمام بالمعاني الرمزية التداولية pragmatics، وكيف تكوِّن المعاني الاتصالية العملية، وما علاقة ذلك كله بالسياق وأحوال كل من المتحدث والسامع.

أخيراً استفاد هذا العلم من نتائج الدراسات اللغوية النفسية التي أجريت في ميدان القراءة وعرفت بعلم نفس القراءة Psychology of Reading، التي برزت فيها آراء ونماذج تكشف عن العمليات النفسية العقلية، وتفسر ما يحدث للقارئ في أثناء عملية القراءة؛ حتى أصبحت نتائج هذه البحوث ميداناً خصباً

ورافداً مهماً للبحث في اكتساب اللغة وتعلمها وتعليمها، سواء كانت لغة أُماً أمْ لغة ثانية أو أجنبية[1].

وما زال علم اللغة النفسي في نمو وتطور كغيره من العلوم الحديثة، فكما اعتمد على علم النفس في فترة وعلى علم اللغة فترة أخرى، فإنه الآن أكثر استفادة من العلوم الأخرى عما كان عليه من قبل، وبخاصة علم النفس المعرفي، وعلم الذكاء الصناعي Artificial intelligence، وعلم الأعصاب neuroscience، والفلسفة، وعلم الاجتماع، وعلم الأجناس المعرفي Cognitive anthropology، كل ذلك تحت مضلة عامة، هي: علم الإدراك المعرفي Cognitive science[2].

يتوقع من الدارس لهذا الفصل أن يحقق الأهداف الآتية:

١- التعرف على أهمية دراسة الصوتيات والفونولوجيا وتطبيقاتها العملية؟
٢- التعرف على أهم مصطلحات هذا العلم وفهم مضمونها.
٣- التعرف على الطرق المختلفة لتصنيف الأصوات وخاصة أصوات اللغة.
٤- التعرف على الرموز الصوتية العالمية.
٥- التعرف على آلية استخدام الأصوات لتشكيل المقاطع والكلمات.
٦- التعرف على الخصائص المميزة لمجموعات الأصوات الرئيسة.
٧- التعرف على بعض العمليات والقواعد الفونولوجية الأساسية.

مقدمة

يقضي الأفراد جل وقتهم التحدث أو الاستماع إلى الآخرين. ولا يخلو نومنا أحيانا من التحدث أيضا. وعندما نتكلم يكون التركيز على تحديد الأفكار التي نرغب في نقلها للمستمع واختيار الكلمات والعبارات المناسبة لنقلها من دون التفكير ولو للحظة في كيفية إصدار (نطق) الأصوات المكونة لهذه العبارات، لاعتبار عملية الكلام أمرا مسلما به. فعندما تنساب الكلمات والعبارات بسهولة كبيرة لا ينتبه المرء إلى الآلية التي يعمل بها الجهاز الصوتي كالحنجرة حركة واللسان والشفتين. والواقع أننا لا نشعر بعمل كثير من أجهزة الجسم وأعضائه كالقلب والرئتين والعضلات وغيرها. ولكن الأمر يختلف تماما في حال وجود مشكلة في النطق، حيث ينصب جل الاهتمام والجهد على نطق الكلمات بدلا من التركيز على الأفكار والتعبير كما هو الحال في الوضع الطبيعي.

إن عملية الكلام وكيفية استقبال الآخرين لهذا الكلام تثير عدداً من التساؤلات منها:

1- مم يتكون الكلام وكيف يتسنى للمرء إنتاجه بهذه السهولة؟

2- كيف يُنتجُ الصوت؟

3- كيف تتشكل الأصوات اللغوية؟

4- ما هي الأصوات التي توجد في لغات العالم المختلفة؟

5- هل توجد خصائص مشتركة بين الأصوات؟

6- كيف تؤثر الأصوات على بعضها البعض؟

7- ما هي القواعد التي تنظم عمل هذه الأصوات في اللغة؟

وسنحاول في هذا الفصل الإجابة عن بعض هذه التساؤلات وغيرها مما يثار في علم الصوتيات والنظام الصوتي. نناقش في القسم الأول من الفصل تشريح الجهاز الصوتي وآلية عمله وإنتاج الأصوات وتصنيفها والكتابة الصوتية، بينما نناقش في القسم الثاني الجوانب المتعلقة بوظائف الأصوات والقواعد التي تحكم عملها في اللغة مع التركيز على اللغة العربية.

الجوانب اللغوية في علم اللغة النفسي
(مستويات التحليل اللغوي)

أولاً: علم الأصوات والنظام الصوتي:

اللغة مجموعة من الأنظمة التي اصطلح اللغويون على تقسيمها إلى أربعة مستويات رئيسة وأسموها المستويات اللغوية، أو مستويات التحليل اللغوي Levels of language analysis، وهي: الأصوات، والصرف، والنحو، والمفردات والدلالة[١]. ويتفرع من كل مستوى من هذه المستويات عدد من الفروع، وكل فرع يتفرع إلى فروع صغيرة أو جوانب معينة من دراسة اللغة. وهذا التقسيم لا يعني تقطيع أوصال اللغة ولا تقسيمها إلى أجزاء؛ فاللغة وحدة واحدة متكاملة، لا ينفصل بعضها عن بعض، وإنما هو تقسيم لأغراض الدراسة والتحليل. بل إن فروع علم اللغة المبنية على هذه المستويات يعتمد بعضها على بعض كل حين وفي أثناء التحليل نفسه؛ فالأصوات مادة الصرف، والصرف مادة النحو، والمفردات أصوات وصيغ ووحدات صرفية تحمل دلالات؛ يحددها موقع الكلمة من الجملة، والمقام الذي وردت فيه.

إن دراسة مستويات التحليل اللغوي مهمة عند دراسة علم اللغة النفسي لأن اللغة مكونة من هذه المستويات

الأربعة (الأصوات، والصرف، والنحو، والمفردات والدلالة[٢])، لكنها لا تكتسب ولا تستعمل من خلال مستوى واحد فقط، فالطفل يكتسب لغته وهو لا يدرك الفروق بين هذه المستويات، والأحداث اللغوية تتفاعل عناصرها في أثناء الكلام تفاعلاً تاماً. وكل نشاط لغوي في أي مستوى من هذه المستويات مرتبط بالجوانب النفسية الداخلية التي يتحكم فيها الجهاز العصبي المركزي الذي يمثله الدماغ، بل إن لكل نشاط لغوي مركزاً خاصاً به في الدماغ.

: أن أي حديث عن وظائف علم اللغة النفسي ومجالاته وموضوعاته؛ كاكتساب اللغة، وفهم الكلام وإنتاجه، ومشكلات اللغة بأنواعها، يكون من خلال هذه المستويات اللغوية؛ فلا بد من الحديث في هذا العلم عن كيفية إصدار الصوت، وتشكل الكلمات صرفياً، وبناء الجمل نحوياً، واكتساب المفردات مبنى ومعنى، ولا فائدة من الحديث عن هذه الجوانب نفسياً قبل التعريف بها لغوياً.

فإذا أراد الباحث في علم اللغة النفسي أن يعرف كيف أُنْتِجَت جملة مثل: كيف يكتسب الطفل لغته الأم؟ ويعرف معناها، فلا بد أن يعرف العمليات والمراحل التي مرت بها هذه الجملة. ولا يتم ذلك إلا بعد استنباط أصواتها وتصنيفها، وتعرف كلماتها وربطها بمعانيها، وتحليل صيغها الصرفية وبنيتها النحوية لتحديد وظيفة كل كلمة فيها، وتفسير معناها من خلال السياق اللغوي والمقام الاجتماعي على ضوء العلاقة التواضلية بين المتحدث والسامع.

غير أن الباحث في علم اللغة النفسي يدرس هذه الجوانب اللغوية دراسة لغوية نفسية من حيث علاقتها باكتساب اللغة واستعمالها في الفهم والإنتاج، ويدع التفصيل الوصفي النظري لعلم اللغة العام بفروعه المعروفة، وهي: علم الأصوات، وعلم الصرف، وعلم النحو، وعلم الدلالة، وعلم المعجم. وسوف أتحدث بإيجاز عن كل مستوى من هذه المستويات حسب ما يتطلبه البحث في علم اللغة النفسي في اكتساب اللغة وفهمها واستعمالها، من غير إغراق في الوصف النظري الذي يمكن الرجوع إليه في مصادر علم اللغة العام.

المستوى الأول: الأصوات:

الأصوات اللغوية تدرس في علم الأصوات، الذي هو أحد فروع علم اللغة العام. وعلم الأصوات يدرس أصوات اللغة من حيث حدوثها وكيفية نطقها، وانتقالها عبر وسط فيزيائي، واستقبالها عندما تصل إلى أذن السامع، ووظائفها في الكلام وأداء المعنى. ودراسة أصوات اللغة تتناول نوعين من الدراسة الصوتية، هما:

الأول: علم الأصوات المجردة، المعروف بالفوناتيك أو الفوناتيكا Phonetics، ويُعنى بدراسة الأصوات المجردة من حيث كونها أحداثاً منطوقة بالفعل، لها تأثير سمعي معين، دون نظر في قيمها أو معانيها. أي يتناول أصوات اللغة معزولة عن بنيتها؛ فيتناول كيفية حدوث الصوت، ومواضع نطق الأصوات، ومخارجها، وصفاتها النطقية والسمعية. وهذا الفرع عام وشامل لدراسة الصوت في أي لغة؛ لأنه يدرس إنتاج الأصوات وانتقالها

واستقبالها من غير نظر إلى معانيها ووظائفها التي تختص بها لغة معينة[١].

الثاني: علم الأصوات الوظيفي، أو علم التشكيل الصوتي[٢]، المعروف بالفنولوجيا Phonology، ويدرس الصوت اللغوي في سياقه داخل البنية اللغوية من حيث وظيفته وتوزيعه وعلاقة ذلك بالمعنى. وهذا الفرع يدرس وظائف الأصوات وما يؤديه التقابل بين صوت وصوت من اختلاف في المعنى، وذلك بدراسة النظام الصوتي للغة بعينها.

فروع علم الأصوات:

قسم اللغويون علم الأصوات إلى ثلاثة فروع، هي: علم الأصوات النطقي، وعلم الأصوات الفيزيائي أو الأكوستيكي، وعلم الأصوات السمعي.

أولاً: علم الأصوات النطقي:

علم الأصوات النطقي Articulatory Phonetics، أو علم الأصوات (الفسيولوجي) Physiological Phonetics، هو ذلك الفرع من علم الأصوات الذي يهتم بدراسة حركات أعضاء النطق لإنتاج أصوات الكلام[١]. وهو أقدم الفروع الثلاثة ظهوراً، وأوسعها انتشاراً بين اللغويين، ويختص هذا الفرع من علم الأصوات بثلاثة جوانب:

الأول: دراسة الجهاز النطقي الذي يصدر الصوت اللغوي، ويتكون من ثلاثة أقسام رئيسة، هي: أعضاء التنفس (الرئتان والقصبة الهوائية)، والحنجرة بما تحويه من أعضاء وغضاريف وأوتار، والتجاويف الأنفية والفموية التي تحوي معظم أعضاء النطق؛ كاللسان والشفتين واللهاة والحنك اللين والأسنان[٢].

الثاني: دراسة إنتاج الصوت اللغوي؛ أي دراسة إنتاج الأصوات اللغوية المنطوقة، وتصنيفها، والتفريق بينها من حيث: المخرج (شفهية، لثوية، حلقية...)، والكيفية التي تنطق بها (انفجارية، احتكاكية، مائعة، جانبية)، والصفة (مجهورة، مهموسة، لا مجهورة ولا مهموسة)، والنوع (أنفية أو فموية أو فموية أنفية)، بالإضافة إلى تصنيفها إلى: أصوات

صامتة، وأصوات صائتة أو حركات، وتصنيف هذه الحركات، ونحو ذلك.

الثالث: وظيفة الصوت المنطوق، ويشمل دراسة الأصوات الوظيفية، أو وظائف الأصوات، وتدخل هذه الدراسة ضمن علم الأصوات التنظيمي أو التشكيلي المعروف بالفونولوجيا Phonology أو علم الفونيمات Phonemics.

ثانياً: علم الأصوات الفيزيائي:

علم الأصوات الفيزيائي Physical Phonetics، أو الأكوستيكي Acoustic Phonetics، فرع من علم الأصوات، يهتم بدراسة الخصائص المادية أو الفيزيائية لأصوات الكلام منذ خروجها من فم المتكلم أو من أنفه أو منهما معاً، وانتقالها في الهواء أو في الوسط الناقل، حتى تصل إلى أذن السامع. والدراسة في هذا الفرع من علم الأصوات تشمل جانبين:

الأول: دراسة الموجات والذبذبات الصوتية التي يحدثها المتكلم باستعمال أجهزة الصوت وأعضائه المشار إليها في علم الأصوات النطقي.

الثاني: دراسة الوسيط، وهو الوسط الذي ينتقل عبره الكلام إلى أذن السامع، سواء أكان وسطاً طبعياً كالهواء ونحوه، أم وسطاً صناعياً كقنوات الاتصال وأجهزتها.

ثالثاً: علم الأصوات السمعي:

علم الأصوات السمعي Auditory Phonetics فرع من علم الأصوات، يهتم بدراسة الإدراك السمعي لأصوات الكلام بعد وصولها إلى أذن السامع وانتقالها عبر الأعصاب السمعية إلى مراكز السمع ثم إلى مراكز الإدراك اللغوي في الدماغ[١]، ولهذا العلم جانبان:

الأول: عضوي، أو فسيولوجي Physiological، يركز على دراسة فسيولوجية الأذن ووظائفها وما يرتبط بها من أجهزة وأعصاب سمعية.

الثاني: نفسي Psychological، يهتم بالنواحي النفسية للاستماع من حيث التأثير في المستمع واستجابته للمتكلم، والعمليات العقلية التي تحدث في ذهن المتكلم لفهم الكلام وإدراكه وتفسيره[٢].

الجهاز النطقي Articulation apparatus

نود أن نشير إلى أن الوظيفة الأساسية للجهاز النطقي بيولوجية، بينما يعتبر الكلام وظيفة ثانوية. وتتمثل الوظيفة البيولوجية لهذا الجهاز في المحافظة على حياة الإنسان من خلال الأكل والتنفس. ومن هنا نجد أن الجوانب التشريحية لهذا الجهاز عند الحيوانات تشبه إلى حد ما تلك التي عند الإنسان غير أنها لا تستعمل للنطق عند الحيوانات.

يظهر الشكل (3-1) الجهاز النطقي وأعضاء النطق المختلفة. يتكون الجهاز النطقي من الرئتين والحنجرة وثلاثة تجاويف رئيسة هي: تجويف الفم وتجويف الأنف وتجويف البلعوم. وفيما يلي نبذة مختصرة عن مكونات الجهاز النطقي.

الباحثون السوريون
الأنف
الأسنان العليا
الحافة السنخية
سقف الحلق العظمي
سقف الحلق الرخو
الشفة العليا
الشفة السفلى
اللسان
البلعوم
الأسنان السفلى
الحنجرة
اللغويات
كيف تصدر أجسامنا الكلام - نظرة تشريحية

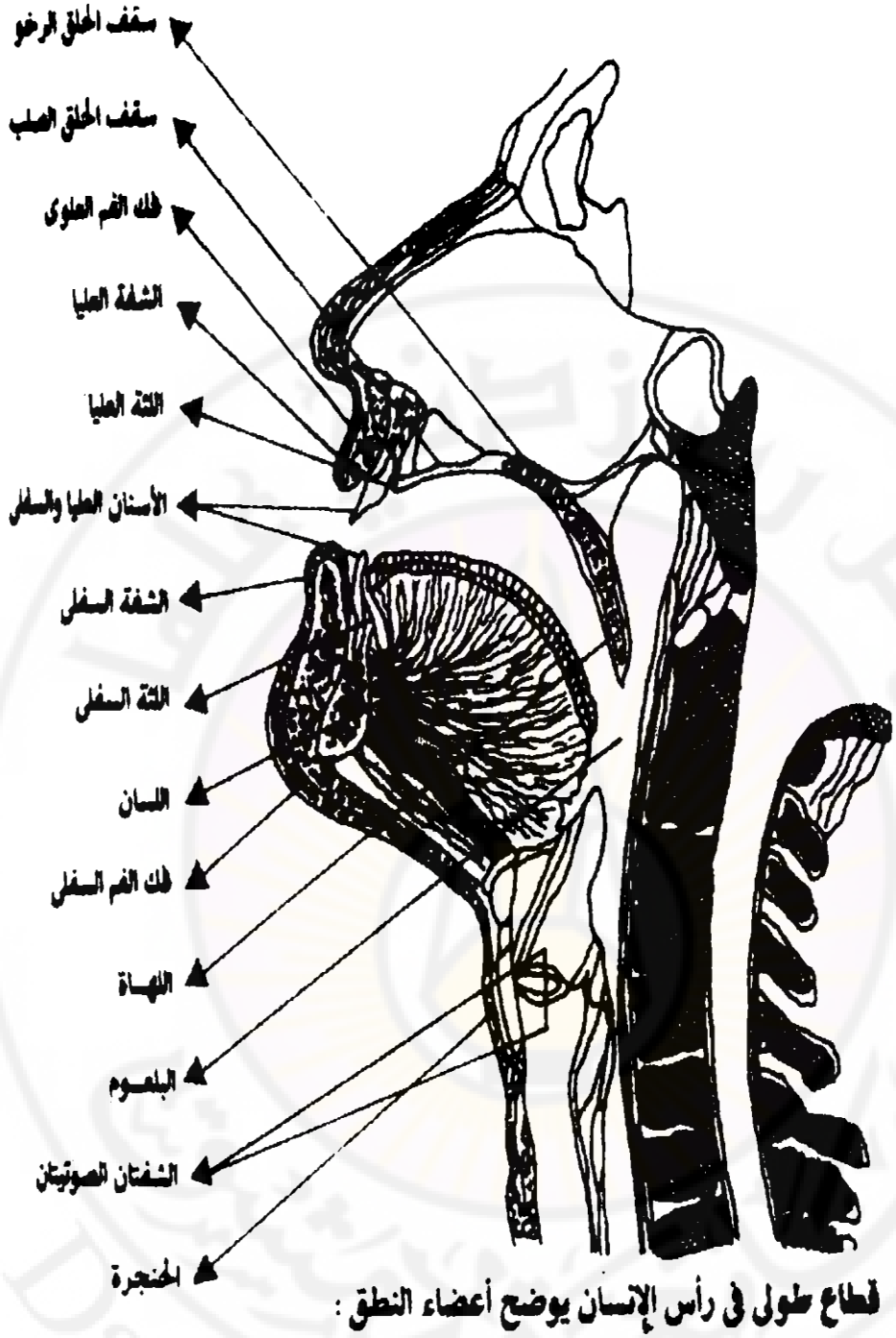

الشكل (٢) المصدر: وفاء البيه، أطلس أصوات اللغة العربية، ص ١٠٠٨

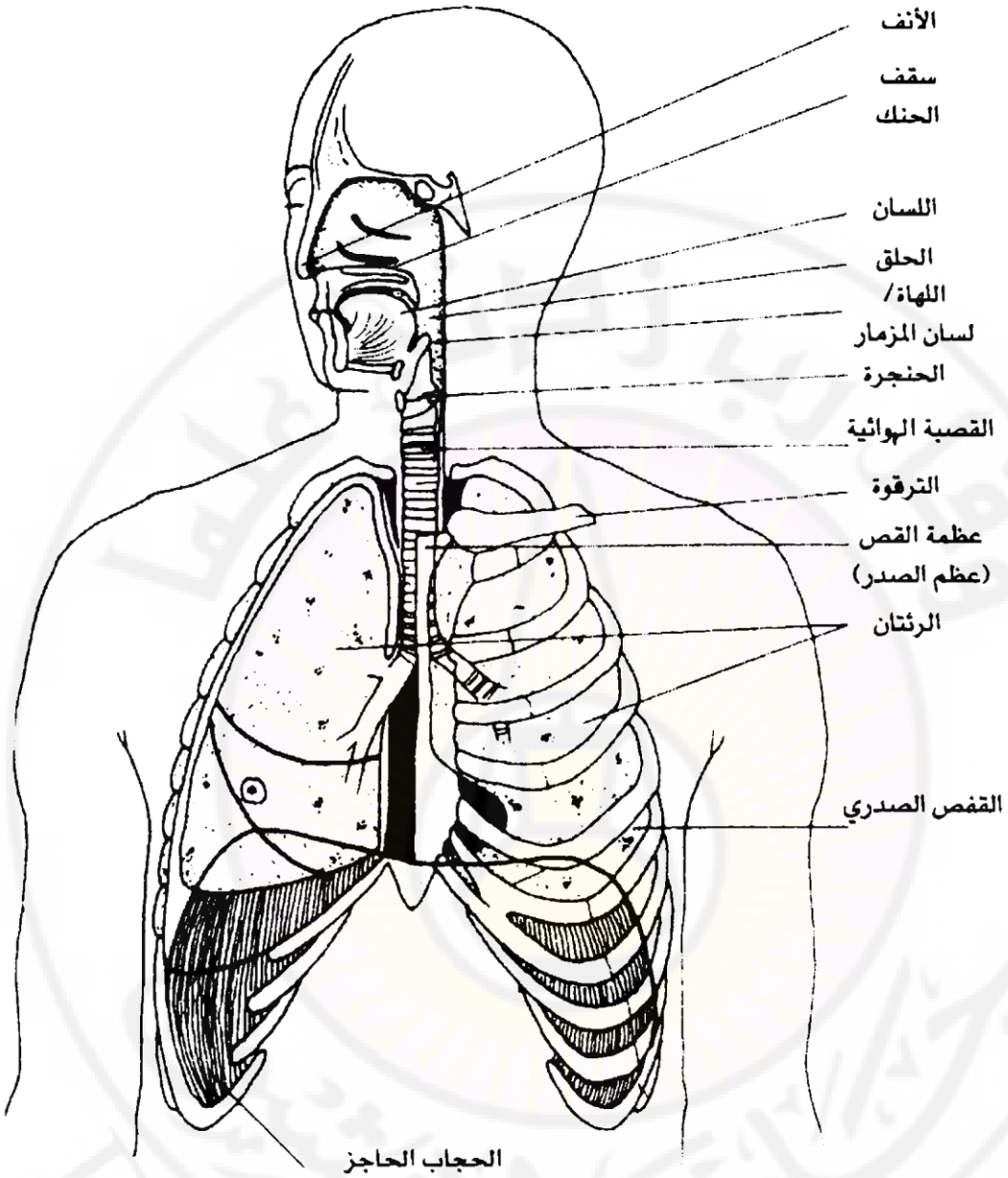

الشكل (٣) صورة أمامية للجهاز الصوتي. المصدر:

Crystal, D. The Cambridge Encyclopedia of Language, P. 124.

الرئتان Lungs

يتمثل دور الرئتين في توفير الهواء الذي يشكل مصدر الطاقة اللازمة لتوليد الصوت phonation في الحنجرة والذي يستخدم في إنتاج جميع الأصوات. ومع أن وظيفة الرئتين هي في الأساس بيولوجية تتمثل في التنفس الضروري للمحافظة على حياة الإنسان، إلا أنها تستخدم أيضا في إنتاج الأصوات اللازمة للكلام.

تعتمد عملية التنفس على التوازن بين ضغط الهواء الخارجي وضغط الهواء داخل الرئتين. ففي حالة الشهيق يزداد حجم الرئتين نتيجة لتقلص عضلة الحجاب الحاجز وتوسع الصدر وعمل مجموعة العضلات الخارجية الموجودة بين الأضلاع external intercostal muscles. فعندما تنقبض هذه العضلات فإنها تدفع الأضلاع للارتفاع إلى الأمام مما يؤدي إلى زيادة حجم القفص الصدري وبالتالي زيادة حجم الرئتين. إن زيادة حجم الرئتين يؤدي إلى انخفاض ضغط الهواء فيهما مما يدفع بالهواء الخارجي للدخول إلى الرئتين لمعادلة الضغط فيما يعرف بعملية **الشهيق**. ذلك تصدر الأوامر للعضلات فتعود العضلات إلى وضع الارتخاء وتعود الرئتان إلى حجمهما الطبيعي، مما يؤدي إلى زيادة الضغط فيهما، فيندفع الهواء خارج الرئتين محدثا عملية **الزفير**.

يوفر هواء الزفير الطاقة اللازمة للكلام، ومن المهم أن نعرف أن تيار هواء الزفير الذي نستخدمه للكلام يختلف في جوانب عديدة ومهمة عن هواء الزفير الذي ينجم عن عملية التنفس الطبيعي اللازمة لتوفير الأوكسجين للجسم. فكمية الهواء التي تخرج من الرئتين أثناء الكلام تصل إلى ثلاثة أو أربعة أضعاف كمية الهواء التي تخرج أثناء عملية التنفس الطبيعي. كما أن الشهيق أثناء الكلام يكون **أسرع** بكثير منه أثناء التنفس الطبيعي. ويتساوى الزمن اللازم للشهيق والزفير أثناء التنفس الطبيعي. أما عملية الزفير أثناء الكلام فتكون **أبطأ** نسبياً. ونتيجة لذلك يقل عدد مرات التنفس أثناء الكلام مقارنة بعددها أثناء التنفس الهادئ. كما أن تيار الهواء المار من الرئتين أثناء عملية التنفس الطبيعي يخرج بحرية بينما يواجه تيار الهواء مقاومة ومعوقات في الحنجرة أو تجويف الفم أثناء الكلام كما سنوضح لاحقا. (Akmajian, Demers, Farmer and Harnish, 1995)

الحنجرة Larynx

تقع الحنجرة في نهاية الطرف العلوي من القصبة الهوائية، وهي عبارة عن صندوق غضروفي يتكون من أربعة غضاريف رئيسة هي الغضروف الدرقي thyroid cartilage، الغضروف الحلقي (كالحلقة في شكله) cricoid cartilage الذي يشكل قاعدة الحنجرة، والغضروفين الهرميين، وهما غضروفان صغيران يشبه كل منهما arytenoids، وهما قادران على الحركة تبعا لانقباض وارتخاء العضلات التي تتحكم في الغضروفين بحيث يسمح لهما بالانزلاق أو التأرجح. و لسان المزمار epiglottis الذي يشبه حبة ا لأجاص ويلتصق بالحنجرة من طرفها العلوي. كما يوجد ضمن الحنجرة الوتران الصوتيان vocal folds وهما عبارة عن نسيج مرن يمكّنهما من التقارب والتباعد نتيجة لانقباض العضلات التي تتحكم في حركة غضاريف الحنجرة وارتخائها. وتعرف الفجوة التي تقع بين الوترين الصوتيين "بفتحة المزمار" glottis. يلعب الوتران الصوتيان دوراً أساسيا في توليد الصوت (الطنين) اللازم لإنتاج الأصوات اللغوية المجهورة (الأصوات التي يرافق انتاجها التقاء الوترين وتباعدهما (التذبذب). فعلى سبيل المثال، يستطيع المرء أن يستشعر الفرق بين التذبذب والتباعد عند وضع الإبهام والسبابة على الحنجرة وتبادل النطق بين صوتي "س" و "ز".

تجويف الفم Oral Cavity

يضم تجويف الفم **النواطق** articulators، الأعضاء التي تلعب دوراً أساسياً في إنتاج الأصوات اللغوية. ويمكن تقسيم النواطق إلى مجموعتين: **متحركة وثابتة**. وفيما يلي عرض مختصر لكل واحد من هذه النواطق:

اللسان **tongue** . اللسان أكثر النواطق مرونة وقدرة على الحركة السريعة. ونظراً للدور الهام الذي يؤديه في إنتاج الأصوات فقد جرت العادة على تقسيمه إلى أربعة أقسام هي:

أ. رأس اللسان tip وهو أقصى نقطة في مقدمة اللسان.

ب. مقدمة اللسان front وهو ذلك الجزء الذي يقع مقابل سقف الحلق الصلب مباشرة.

ج. وسط اللسان center وهو ذلك الجزء الذي يقع بين الحنك الصلب والحنك الرخو في مؤخرة اللسان.

د. مؤخرة اللسان back وهو ذلك الجزء الذي يقع مقابل سقف الحلق اللين.

هـ. جذر اللسان root of the tongue وهو الجزء الأخير من اللسان المرتبط بأرضية الفم.

الشفتان **lips** . تصنف الشفة السفلى ضمن النواطق المتحركة بينما تصنف الشفة العليا ضمن النواطق الثابتة. ويمكن للشفتين أن تتخذ أوضاعا مختلفة تبعا للأصوات التي تساهم في إنتاجها. وهذه الأوضاع هي:

أ. الانفراج: تكون الشفتان منفرجتين spread.

ب. الارتخاء: تكون الشفتان في وضع ارتخاء ويسمى هذا الوضع بالوضع المحايد neutral.

ج. الإطباق: تكون الشفتان مطبقتين closed بحيث يحبس الهواء خلفهما لفترة وجيزة.

د. الاستدارة: تكون الشفتان مستديرتين rounded.

الأسنان **teeth** . تعتبر الأسنان العلوية ناطقا ثابتا تستخدم كنقطة يلتقي فيها اللسان أو الشفة السفلى لإنتاج عدد من الأصوات كما سنبين لاحقا.

اللثة **alveolar ridge**. تثبت اللثة الأسنان وتستخدم كنقطة نطق ثابتة يلتقي معها اللسان لإنتاج العديد من الأصوات كما سنوضح لاحقا.

سقف الفم الصلب (الغار) **hard palate**. يشكل سقف الفم الصلب نقطة ثابتة يلتقي معها اللسان لإنتاج بعض الأصوات كما سنبين لاحقا.

سقف الفم اللين (الطبق) **soft palate (velum)**. ناطق متحرك يقوم مع اللسان بإنتاج عدد من الأصوات. كما يلعب دورا مهما كصمام لإغلاق أو فتح تجويف الأنف لإنتاج الأصوات الفموية والأنفية كما سنبين لاحقا.

اللهاة **uvula**. تشمل اللهاة نهاية سقف الفم الصلب. وهي من النواطق المتحركة التي تساهم في إنتاج بعض الأصوات وإغلاق أو فتح تجويف الأنف كما سنوضح فيما بعد.

تجويف الأنف Nasal Cavity

يرتبط تجويف الأنف بأقصى تجويف الفم وبداية البلعوم. ويعمل كل من سقف الحلق اللين واللهاة والبلعوم على إغلاق هذا التجويف لإنتاج الأصوات الفموية (الأصوات التي تخرج من الفم) أو فتح هذا التجويف مما يسمح بإنتاج الأصوات الأنفية (الأصوات التي تخرج من الأنف).

تجويف البلعوم Pharyngeal Cavity

يقع تجويف البلعوم فوق الحنجرة مباشرة (انظر الشكل 3–1) وهو عبارة عن جدار خلفي وجدارين جانبيين وهو مفتوح من الأعلى بحيث يتصل بكل من تجويف الأنف وتجويف الفم. ويعتبر البلعوم مكاناً لنطق بعض الأصوات الفموية كما سنوضح لاحقا.

النطق:

النطق نتاج عمليات عضوية (فسيولوجية)، وعمليات عصبية نفسية تتحكم في العمليات العضوية. فالعمليات العضوية تتمثل في استنشاق الهواء ودفعه لإنتاج الأصوات إنتاجاً أوليّاً، وتحرُّك بعض أعضاء النطق أو تحريكها عند مرور الهواء بها؛ لتشكيل الأصوات حسب طبيعة لغة المتكلم.

وتبدأ العمليات العضوية عملها النطقي عندما يستعد الإنسان للكلام، فيستنشق الهواء، ويمتلئ به جوفه حسب الحاجة، ثم تتقلص عضلات البطن والصدر؛ فتضغط على الحجاب الحاجز الذي يضغط على الرئتين لتدفعا الهواء عبر القصبة الهوائية إلى الحنجرة التي تحتوي على الوترين الصوتيين.

وعندما يمر الهواء بالحنجرة ينفذ عبر التجويف المعروف بتجويف المزمار أو فتحة المزمار الواقعة بين الوترين الصوتيين؛ فيستجيب الوتران لهذا التيار الهوائي متخذَيْن أوضاعاً مختلفة، أهمها:

١- وضع الراحة، أو وضع التنفس[١]، حيث تكون العضلات في حالة استرخاء، والحبال الصوتية مفتوحة مكونة فراغاً مزمارياً على هيئة شق طولي مثلث الشكل يشبه الرقم (٧)، لكن فتحة المزمار تكون في حالة الشهيق أوسع نسبياً منها في حالة الزفير[٢]. وفي هذا الوضع تصدر الأصوات المهموسة voiceless sounds المقابلة للأصوات المجهورة voiced sounds.

٢- وضع الإغلاق المحكم: وفيه ينغلق الوتران الصوتيان إنغلاقاً تاماً فيعترضان مجرى الهواء، ثم يحدث الانفراج المفاجئ الذي يعقبه أو يصحبه صوت

انفجاري نتيجة لاندفاع الهواء. وهذا الوضع يحدث في حال النطق بهمزة القطع في اللغة العربية[١]، وبعض أصوات اللغة الألمانية.

٣- وضع التوتر والاهتزاز: وهو الوضع الخاص بنطق الأصوات المجهورة voiced sounds، ويحدث عندما يقترب الوتران الصوتيان من بعضهما في أثناء مرور الهواء، ويضيق الفراغ بينهما بحيث يسمح بمرور الهواء مع إحداث اهتزازات وذبذبات منتظمة لهذين الوترين.

٤- وضع الوشوشة: وهو الوضع الذي يصدر فيه الصوت الصادر في حالة انعدام الاهتزاز المنتظم للوترين الصوتيين. والوشوشة نوعان: وشوشة عادية تحدث عندما يعبر الهواء فتحة المزمار وقد تقارب الوتران الصوتيان كما في حال نطق الهاء العربية، ووشوشة شديدة تحدث عندما يغلق الجزء الأمامي الغشائي إغلاقاً محكماً ويبقى الجزء الغضروفي مفتوحاً فتخرج دفعة هواء أكبر من المعتاد، مع بقاء الضغط فيما تحت الحنجرة أقل منه في حالة المحادثة العادية التي تشتمل على الجهر[٢].

التحكم العصبي في عمليات النطق:

وتتلخص عملية الكلام من الناحية العصبية في أن ألياف الحركة تنقل الحوافز العصبية nerve impulses إلى العضلات المتحكمة في جهاز النطق من منطقة بروكا التي تتحكم في النشاط الحركي لأعضاء النطق، وذلك عن طريق التحكم في تقلص هذه العضلات واسترخائها، وتوقيت الحركات في تزامنها أو تتابعها[٢]. وتتطلب الممارسة العادية للكلام تعاوناً بين مركز النشاط

الحركي لأعضاء النطق ومركز السمع في الدماغ، ذلك أن الحوافز العصبية السمعية مهمة في ضبط تحركات أعضاء النطق[١].

وتقوم ألياف الحس sensory nerves بمهمة عكسية لكنها مكملة لمهمة أعضاء الحركة، وذلك بنقلها للحوافز العصبية من المستقبلات الحسية في هذه الأعضاء إلى الدماغ. وبهذا تكتمل دائرة الحركة والإحساس، ويكون الدماغ في أثناء الكلام على علم بكل المعلومات المتعلقة بممارسة جهاز النطق لوظائفه[٢].

آلية إنتاج الكلام Speech Mechanism

يشكل الهواء المندفع من الرئتين أثناء الزفير مصدر الطاقة اللازمة لإنتاج معظم الأصوات اللغوية، ويخضع هذا التيار أثناء مروره في الممر النطقي لتغيرات مهمة قبل أن يكتسب الصوت صفته المميزة. وأول هذه التغيرات تحدث في الوترين الصوتيين. فقد يغلق الوتران الصوتيان الممر النطقي لبعض الوقت لحين بناء ضغط هوائي كاف لدفعهما إلى الاهتزاز وإنتاج طنين مسموع buzz. وقد يتباعد الوتران الصوتيان بحيث يسمح للهواء بالمرور بحرية من خلال فتحة المزمار. ثم تتوالى التغيرات التي تطرأ على هذا الطنين في التجاويف المختلفة وبخاصة تجويف الفم، حيث يتغير شكل التجويف الفموي تبعا للأعضاء التي تشارك في نطق كل صوت، المتحركة منها والثابتة. وبذلك يمكن تحويل هذا الطنين المسموع إلى صوت مميز مفهوم. وسنعرض فيما يلي بالتفصيل لآلية وصف وإنتاج الأصوات اللغوية في الجهاز النطقي.

وصف الأصوات اللغوية Description of Speech Sounds

تجدر الإشارة إلى أنه لا يوجد تطابق كامل بين كتابة الكلمة هجائيا ونطقها صوتيا. فالحروف المستخدمة في كتابة اللغة الإنجليزية مثلا لا تدل في كثير من الحالات على أصواتها، وهذه الظاهرة تندرج على معظم لغات العالم. فمثلا "**الـ**" التعريف في اللغة العربية تنطق "لاما" عندما تكون قمرية كما في كلمة "**الباب**"، بينما تقلب إلى الصوت الذي يليها عندما تكون شمسية كما في كلمة "**الدار**". وفي اللغة الإنجليزية فإن الحرف/الحروف المكتوبة بالخط الغامق في الكلمات **f**at, **ph**ilosophy, tou**gh** تمثل صوتا واحدا هو الفاء [f] ، كما أن مجموعة الأحرف ou في الكلمات: tou**gh** , tho**ugh** , thr**ough** لها أوجه لفظية مختلفة. هذا بالإضافة إلى أن أنظمة الكتابة التقليدية في اللغات جميعاً خالية من أية رموز تمثل الخصائص الصوتية الأخرى كالنبر stress والتنغيم intonation. من هنا برزت الحاجة لتطوير نظام آخر يمثل الأصوات المستخدمة في جميع اللغات ويعالج المشاكل الموجودة في أنظمة الكتابة الهجائية.

الأبجدية الصوتية العالمية International Phonetic Alphabet

تم في عام 1888 تطوير نظام صوتي أطلق عليه اسم الأبجدية الصوتية العالمية. ويتضمن النظام عددا محددا من الرموز التي تمثل الأصوات المستخدمة في مختلف لغات العالم، وسرعان ما شاع استخدام هذه الرموز بين الباحثين في علوم الصوتيات والفونولوجيا. ويتميز نظام الأبجدية الصوتية العالمية عن الحروف الهجائية بما يلي:

1. **استخدام رمز واحد فقط لكل صوت**

   تستخدم الأبجدية الصوتية العالمية رمزا واحدا لكل صوت لغوي.

2. **الشمولية**

   تمثل رموز الصوتية في الأبجدية العالمية مختلف لغات العالم المعروفة

3. **استخدام رموز خاصة بالنبر والتنغيم**

   تتضمن الأبجدية الصوتية العالمية رموزا خاصة بالنبر ورموزا أخرى خاصة بالتنغيم. كما تتضمن أيضا رموزا ثانوية diacritics تمثل التغيرات التي تطرأ على الأصوات في السياقات الصوتية المختلفة أو في حالة وجود اضطرابات نطقية كما سنبين لاحقا (انظر ملحق جدول الأبجدية الدولية).

Arabic Consonants

جدول ٣-٢ الصوامت العربية

MANNER OF ARTICULATION	PLACE OF ARTICULATION																							
		Bilabial		Labio-dental		Dental		Alveo-Dental		Palatal		Velar		Uvular		Pharyngeal		Glottal	
		VL	V	VL	V	V	VL	VL	V	VL	V	VL	V	VL	V	VL	V	VL	V
Stop	انفجاري		b					t t̲	d d̲			k		q				ʔ	
Fricative	احتكاكي			f		θ	ð ð̲	s s̲	z	ʃ				χ	ʁ	ħ	ʕ	h	
Affricate	مزجي										dʒ								
Nasal	أنفي	m						n											
Lateral	جانبي							l											
Liquid	مائع							r											
Tap/Trill	مكرر																		
Semivowel	شبه صائت	w								j									

تصنيف الأصوات اللغوية Classification of Speech Sounds

تصنف الأصوات تبعا لمحددات خمسة هي: (1) مسار تيار الهواء الرئوي، و (2) وضع الأوتار الصوتية و(3) مكان النطق و(4) طريقة النطق و (5) الإطباق: التفخيم والترقيق. وفيما يلي عرض مختصر لهذه المحددات.

1. مسار تيار الهواء الرئوي

تقسم الأصوات اللغوية تبعا لمسار تيار الهواء إلى مجموعتين هما **الصوائت** vowels **والصوامت** consonants، حيث يمر تيار الهواء في القناة الصوتية دون إعاقة تذكر أثناء إنتاج الصوائت، بينما يتم اعتراض تيار الهواء بأشكال مختلفة عند النطق بالصوامت، فقد يتم **وقف كامل** لتيار الهواء عند نقطة معينة في القناة الصوتية لفترة قصيرة ثم يسمح له بالمرور محدثا **انفجارا** مسموعا كما هو الحال عند النطق بالأصوات [t, d, k] التي تعرف بالأصوات الوقفية/الإنفجارية، وقد يتم تضييق ممر الهواء بحيث يندفع الهواء من خلال قناة ضيقة منتجا **احتكاكا** مسموعا كما يحدث عند النطق بالأصوات "س، ز، ش" التي تعرف بالأصوات **الاحتكاكية**. أما المحددات الثلاثة الأخرى فهي مهمة لتصنيف الصوامت حيث يتم تصنيفها تبعا لوضع الأوتار الصوتية ومكان النطق وطريقته.

2. وضع الأوتار الصوتية

يمكن تصنيف الصوامت إلى مجموعتين تبعا لوضع الأوتار الصوتية عند إنتاج الصامت، فإذا تذبذبت الأوتار (تقاربت وتباعدت بشكل متكرر) يتكون صوت **مجهور** voiced وإذا بقيت متباعدة فيتكون صوت **مهموس** voiceless. يمكنك أن تستشعر الفرق بين المجهور ونظيره المهموس بوضع إصبعيك على حنجرتك عند نطق الصوتين س، ز بشكل متبادل عدة مرات.

3. مكان النطق

قسم اللغويون الصوامت طبقا لمخارجها (مكان نطقها) place of articulation إلى الفئات التالية:

أ. الصوامت **الشفوية** Labials (الشفة السفلية مع الشفة العلوية). فالأصوات [p]، [b]، [m]، [w] تسمى أصوات شفوية لان نطقها لا يتم إلا باستخدام الشفتين.

ب. الصوامت الشفوية السنية (**الشفسنية**) Labiodentals (الشفة السفلية مع الأسنان الأمامية العلوية). فالفاء [f] ونظيره المجهور [v] صوتان شفسنيان لأن الشفة السفلية تلامس الأسنان الأمامية العليا عند النطق بهما.

ج. الصوامت **السنية** Dentals (رأس اللسان أو طرفه بين الأسنان الأمامية العليا والسفلى). فالثاء [θ] والذال [ð] والظاء [ð̲] أصوات سنية يتطلب نطقها وجود رأس اللسان بين الأسنان الأمامية العليا والسفلى.

د. الصوامت **اللثوية** alveolars (رأس اللسان أو طرفه يلامس اللثة). فالتاء [t] والدال [d] والنون [n] أصوات تنطق برأس اللسان واللثة معا.

هـ. الصوامت **اللثوية–الغارية** Alveopalatals (مقدمة اللسان بين نهاية اللثة وبداية الغار، سقف الحلق الصلب). فالشين والجيم [ʃ ، dʒ] صوتان لثويان غاريان ينطقان برفع مقدمة اللسان إلى موقع بين اللثة والغار.

و- الصوامت **الغارية** Palatals (مقدمة اللسان مع سقف الحلق الصلب). فنطق الياء [j] يتطلب ارتفاع مقدمة اللسان باتجاه الغار (سقف الفم الصلب).

ز– الصوامت **الطبقية** (سقف الحلق اللين) Velars (مؤخرة اللسان مع سقف الحلق اللين). فصوتي الكاف [k] والقاف الريفية [g] تنطق برفع مؤخرة اللسان ليلامس سقف الحلق اللين.

ح– الصوامت **اللهوية** Uvulars (مؤخرة اللسان مع اللهاة). فأصوات الخاء [χ] والغين [ʁ] والقاف [q] يتم نطقها عندما تلامس اللهاة مؤخرة اللسان.

ط– الصوامت **البلعومية** Pharyngeals. فصوتي الحاء [ħ] والعين [ʕ] ينطقان في البلعوم.

ي– الصوامت **المزمارية** Glottals. تشمل الأصوات المزمارية صوتي الهمزة [ʔ] والهاء [h]. فإنتاج الهمزة يتطلب غلق فتحة المزمار تماما ومنع مرور

تيار الهواء القادم من الرئتين ثم ينطلق بعد فتح الوترين محدثا انفجارا، وفي الهاء يمر تيار الهواء القادم من الرئتين من خلال ممر ضيق يتم تشكيله بواسطة الوترين الصوتيين.

4- طريقة النطق

تصنف الأصوات تبعا لطريقة نطقها manner of articulation. فتيار الهواء المنبعث من الرئتين في القناة الصوتية لا يمر بحرية طوال الوقت، فقد يتم توقيفه تماما عند نقطة معينة كما هو الحال في نطق الأصوات الوقفية/الانفجارية، وقد يجبر على المرور من ممر ضيق يتشكل في مناطق مختلفة من القناة الصوتية كما يحدث عند نطق الأصوات الاحتكاكية، وقد يحبس الهواء داخل القناة الصوتية ويدفع للخروج من الأنف كما هو الحال في الأصوات الأنفية. وسنعرض فيما يلي مجموعات الأصوات تبعا لطريقة نطقها.

أ- الأصوات الوقفية/الانفجارية Stops/Plosives

يتم إغلاق القناة الصوتية في نقطة معينة ووقف تيار الهواء لفترة قصيرة مما يجعل الهواء يتجمع خلف منطقة الإغلاق ويشكل ضغطا. ولذلك يطلق على هذه الأصوات اسم **وقفية** stops أيضا. وما أن ينتهي الإغلاق حتى يندفع الهواء المحبوس محدثا انفجارا، ومن هنا أطلق عليها **انفجارية**. ويحدث الإغلاق التام في الأماكن التالية:

1. الشفتان. لإنتاج الأصوات الشفتانية
2. اللثة. لإنتاج الأصوات اللثوية (اللسنية).
3. الطبق (سقف الحلق اللين). يحدث إغلاق تام أمام تيار الهواء نتيجة التصاق مؤخرة اللسان مع سقف الحلق اللين، ثم ينشأ ضغط هواء لا يلبث أن يزول بعد هبوط آخر اللسان محدثا صوتا انفجاريا، والصوتان اللذان ننطقهما عند هذا الموضع هما [k] و [g] (في اللغة الإنجليزية أو العامية العربية).
4. اللهاة. هناك صوت انفجاري واحد ينطق في هذا المخرج هو القاف [q] حيث ترتفع مؤخرة اللسان لتلامس اللهاة مغلقة بذلك ممر الهواء عبر الفم.
5. المزمار. هناك صوت انفجاري واحد ينطق في هذا المخرج هو الهمزة [ʔ] حيث

ينطبق الوتران الصوتيان على بعضهما البعض، وبذلك يمنعان خروج الهواء عبر فتحة المزمار لبعض الوقت قبل أن يتباعدا ويحدث الانفجار الذي يتزامن مع نطق الهمزة. مما تقدم نرى أن المجموعة الانفجارية في اللغة العربية الفصحى تتضمن الأصوات التالية: [b]، [t]، [t̪] (ط)، [d]، [d̪] (ض)، [k]، [q] (ق)، [ʔ] (ء).

ب- الأصوات الاحتكاكية *Fricatives*

يعرف الصوت الاحتكاكي بأنه ذلك الصوت الذي يصدر عند اندفاع التيار الهوائي في ممر ضيق ناتج عن اقتراب ناطقين من بعضهما بعضا ليشكلا إغلاقا جزئيا.

ومن هذه الأصوات ما ينجم عنه صفير قوي كما هو الحال عند النطق بالسين [s] والزاي [z] والشين [ʃ]، والبعض الآخر يكون ضعيفا كما هو الحال عند النطق بالذال [ð] والثاء [θ] والفاء [f] والهاء [h].

ج- الأصوات **المزجية** (الانفجارية الاحتكاكية) Affricates

يتألف الصوت المزجي من صوت وقفي وصوت احتكاكي دون أن يتبع الصوت الوقفي انفجار مسموع كما هو الحال في الأصوات الانفجارية، وأهم أصوات هذه المجموعة صوتي الجيم [dʒ] والصوت الأول من الكلمة الإنجليزية church ويمثله الرمز [tʃ].

د. الأصوات **المائعة** Liquids

تتألف هذه المجموعة من صوتين هما الراء /r/ واللام /l/. أما الراء فتنطق عند قيام اللسان بالضرب الخفيف مرة واحدة أو مرتين Flap كما هو الحال في الكلمات العربية **ربى**، **راح**، **رمضان**، ورمزها في الأبجدية الصوتية العالمية هو [ɾ]. وقد يقوم اللسان بالضرب عدة مرات على اللثة منتجا **الراء المكررة** Trill كما هو الحال في الراء العربية في نهاية الكلمات **قطار**، **مطار**، **حجر**، ويمثلها الرمز [r] في الأبجدية الصوتية العالمية. وهناك الراء المنكفئة Retroflex ويتم إنتاجها برفع رأس اللسان إلى الأعلى وإلى الوراء باتجاه الغار. وتوجد هذه الراء في عدة لغات أهمها الإنجليزية الأمريكية كما في كلمة **red**، ويرمز لها في الأبجدية الصوتية العالمية بالرمز [ɹ]

أما الصوت الثاني فهو اللام [l] وتنتج عندما يحبس التيار الهوائي بشكل تام عند اللثة بينما ينخفض جانبي اللسان بحيث يتم مرور الهواء من فوقهما.

هـ. الأصوات **شبه الصائتة** Semivowels

يتم إنتاج الأصوات شبه الصائتة أو **الانزلاقية** glides عندما يقترب عضوا نطق من بعضهما بعضا بحيث يتشكل ممر ضيق في القناة الصوتية يسمح بمرور تيار الهواء دون حدوث احتكاك مسموع. فعلى سبيل المثال، عند النطق بالياء [j] يقترب وسط اللسان من الغار دون حدوث احتكاك كما هو الحال عند النطق بالأصوات الاحتكاكية عموما. أما الواو [w] فينتج عندما تقترب الشفتان ويرتفع اللسان في نفس الوقت باتجاه سقف الحلق اللين.

و. الأصوات **الأنفية** Nasals

كما يستدل من الاسم فإن إنتاج هذه الأصوات يتطلب خروج الهواء من الأنف بدلا من الفم كما هو الحال في صوتي الميم والنون [m, n] . ويتم إنتاجهما بإغلاق مسار تيار الهواء في الفم بشكل تام كما يحدث عند نطق بنظيراتها الفموية [b, d] بينما ينخفض في نفس الوقت سقف الحلق اللين جاعلا الهواء يمر من خلال التجويف الأنفي والخروج من الأنف. وتشترك اللغتان العربية والإنجليزية في الصوتين [m, n] كما في الكلمتين **مات** و **نام** والكلمتين **man** و **not**، بينما يوجد صوت ثالث الإنجليزية هو [ŋ] كما يلفظ صوتا ng في الكلمة **sing**.

5- الإطباق

هناك محدد خامس مهم في تصنيف الصوامت العربية هو **التفخيم/الإطباق** emphasis. والإطباق هو إضافة مكان نطق ثانوي إضافة لمكان النطق الرئيسي بحيث تتحرك مؤخرة اللسان للخلف وترتفع للأعلى لتضييق المساحة بين اللسان وجدار البلعوم. فالسين [s] والصاد [s̪] يشتركان في جميع المحددات الأربعة السالفة الذكر ويختلفان فقط في كون الأول مرققا (ليس فيه إطباق) بينما الثاني مفخما (فيه إطباق) وقد أضيف خط تحت رمز الصوت المفخم الذي فيه إطباق لتمييزه عن نظيره المرقق كما يظهر في رمزي السين والصاد.

يبين الجدول 3-2 الصوامت العربية بحيث تم تصنيف الصوامت حسب مكان نطقها أفقيا وحسب طريقة نطقها عموديا، وقد تم تخصيص الجانب الأيسر من كل خانة للصامت المهموس والأيمن لنظيره المجهور (Amayreh and Dyson, 1998).

جدول 3-1: الصوامت العربية Arabic Consonants

طريقة النطق	مكان النطق Place of Articulation																							
	شفوي		شفوي/أسناني (شفسني)		أسناني		لثوي		لثوي/غاري (لثغري)		غاري		طبقي		لهوي		بلعومي		مزماري	
وقفي/انفجاري Plosive/Stop	b						t t̲	d d̲					k		q				ʔ	
احتكاكي Fricative			f		θ	ð ð̲	s s̲	z	ʃ						χ	ʁ	ħ	ʕ	h	
مزجي Affricate								dʒ												
أنفي Nasal	m							n												
مائع Liquid								l r												
شبه صائت Semi-Vowel	w										j									

يستخدم محدد مسار تيار الهواء للتفريق بين مجموعتي الصوائت والصوامت، بينما تستخدم المحدات الأربعة التالية في وصف الصوامت وتحديد كل صوت منها. ويمكن الاستعانة بالجدول 3-2 لوصف كل صامت من أصوات اللغة العربية الفصيحة. فعلى سبيل المثال، لوصف صوت الباء /b/ ننظر إليه في جدول الصوامت العربية أعلاه لتحديد وضع الأوتار الصوتية (مجهور) ومكان نطقه (شفوي) وطريقة النطق (انفجاري) فيكون وصفه بأنه: **مجهور شفوي وقفي/انفجاري**. أما صوت /s̲/ فيوصف بأنه: **مهموس لثوي احتكاكي مفخم**. كما يوصف صوت /dʒ/ (ج) بأنه: **مجهور لثوي غاري (لثغري) مزجي**.

الصوائت Vowels

الصائت صوت لا يعترض إنتاجه أي عائق في القناة الصوتية. ففي حين يمكن وصف الصوامت تبعا لوضع الأوتار الصوتية ومكان وطريقة نطقها، إلا أن الصوائت

يصعب وصفها استنادا إلى هذه المحددات نظرا لعدم وجود مكان نطق محدد، حيث لا يلتقي اللسان مع أعضاء النطق الأخرى في أية نقطة محددة كما هو الحال في نطق الصوامت. كما أن جميع الصوائت مجهورة نظرا لأن الأوتار الصوتية تتذبذب عند نطق كافة الصوائت.

2- تصنيف الصوائت

يمكن تقسيم الصوائت إلى مجموعتين رئيستين هما: الصوائت الأحادية monophthongs والصوائت الثنائية diphthongs. ففي الصوائت الأحادية يكون اللسان في مكان معين ويبقى في المكان نفسه حتى الانتهاء من نطق الصائت كما هو الحال عند نطق الصائت [u:] حيث ترتفع مؤخرة اللسان إلى الأعلى باتجاه سقف الحلق دون حدوث إعاقة لتيار الهواء حتى الانتهاء من نطقه. أما عند النطق بالصوائت الثنائية فيبدأ اللسان حركته في مكان معين لإنتاج صائت أحادي وينتهي في مكان آخر لإنتاج صائت أحادي آخر كما هو الحال في الصائت الموجود في الكلمة الإنجليزية **buy** [bai] حيث يبدأ اللسان منخفضا لنطق الصائت [a] وينتهي مرتفعا لنطق الصائت [i]. وتصنف الصوائت طبقاً للمحددات التالية:

أ- جزء اللسان الذي يقترب من سقف الفم أثناء النطق بالصائت: مقدمة اللسان أو وسطه أو الجزء الأخير منه. وتقسم الصوائت وفقا لهذا المحدد إلى أمامية ومركزية وخلفية.

ب- ارتفاع اللسان أو انخفاضه بالنسبة لسقف الفم. تصنف الصوائت وفقا لهذه الخاصية إلى مرتفعة high ومتوسطة mid ومنخفضة low .

ج- طول الصائت وقصره. تصنف الصوائت إلى طويلة tense وقصيرة lax كما في [i:] و [i] على التوالي.

د- وضع الشفتين. تقسم الصوائت وفقا لهذه الخاصية إلى ثلاث مجموعا مستديرة rounded ومنفرجة unrounded ومحايدةneutral .

يوضح الشكل 3-2 مواقع الصوائت الأحادية في اللغة الإنجليزية من حيث ارتفاع وانخفاض اللسان وكذلك الجزء الذي يتحرك منه عند النطق بالصائت: الأمامي أو المركزي أو الخلفي. أم فيما يتعلق بوضع الشفتين فإن جميع الصوائت الانجليزية الخلفية تصنف ضمن المجموعة المستديرة باستثناء الصائت المنخفض. ويصنف

الصائت بتحديد جزء اللسان الذي يتحرك عند النطق به ثم وضع اللسان بالنسبة إلى سقف الفم (مرتفع أو متوسط أو منخفض) ثم طول الصائت (طول أو قصير) ووضع الشفاه عند النطق به (مستدير أو غير مستدير). وعليه يمكن وصف /i:/ على أنه **أمامي مرتفع طويل غير مستدير**. ففي هذا الصائت يرتفع الجزء الأمامي من اللسان إلى نقطة قريبة من سقف الفم ولذلك يدعى صائتا أماميا مرتفعا. أما الصائت /i/ فهو **أمامي مرتفع قصير غير مستدير**، في حين يوصف الصائت /u:/ بأنه **خلفي مرتفع طويل مستدير**. أما الصائت /ɑ/ فيوصف بأنه **خلفي منخفض قصير غير مستدير**. وهكذا يمكن تصنيف أي صائت في الشكل تبعا لهذه المحددات الأربعة.

جدول 3-2 الصوائت الإنجليزية

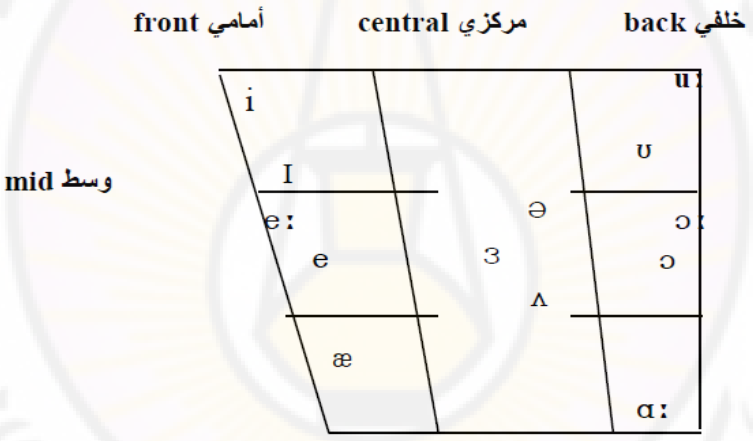

وفيما يلي وصف لأهم الصوائت الإنجليزية (Rogers, 2013; Lowe, 1994) (انظر جدول 3-2).

1- الصائت /i:/كما في **seat** /si:t/ يوصف على أنه **أمامي مرتفع طويل غير مستدير**.

2- الصائت /i/ كما في **sit** /sit/. **أمامي مرتفع قصير غير مستدير**.

3- الصائت /e:/ كما في **gate** /ge:t/ يوصف بأنه **أمامي متوسط طويل غير مستدير**.

4- الصائت /e/ كما في **set** /set/ هو **أمامي متوسط قصير غير مستدير**.

5- الصائت /æ/ كما في **hat** /hæt/ يوصف بأنه **أمامي منخفض قصير (lax) غير مستدير.**

6- الصائت /u:/ كما في **mood** /mu:d/ يوصف بأنه **خلفي مرتفع طويل مستدير.**

7- الصائت /u/ كما في **put** /put/ يصنف على أنه **خلفي مرتفع قصير مستدير.**

8- الصائت /ɔ:/ كما في **boat** /bɔ:t/ يوصف على أنه **خلفي متوسط طويل مستدير.**

9- الصائت /ɔ/ كما في **caught** /kɔ:t/ يوصف على أنه **متوسط خلفي قصير مستدير.**

10- الصائت /ʌ/ كما في **but** /bʌt/ يوصف بأنه **خلفي متوسط مركزي غير مستدير.**

11- الصائت /ə/ كما في ***a*bove** /əbʌv/يوصف هذا الصوت على أنه صائت **متوسط مركزي غير مستدير.**

12- الصائت /ɑ:/ كما في **f*a*ther** /fɑ:ðə/ يوصف بأنه **منخفض خلفي طويل غير مستدير.**

كما يوجد في اللغة الانجليزية مجموعة من الصوائت الثنائية. والصائت الثنائي عبارة عن صوت يبدأ فيه اللسان من مكان وينتهي في مكان آخر. فالصائت الثنائي /ai/ كما في كلمة I يتم نطقه عندما يبدأ اللسان من مكان منخفض (موقع نطق الصائت /a/) وينتهي في مكان مرتفع (موقع نطق الصائت /i/). وتشتمل اللغة الانجليزية على ثمانية صوائت ثنائية. وفيما يلي قائمة بهذه الصوائت وأمثلة على كل واحد منها.

/ai/ كما في I

/ou/ كما في boat

/ei/ كما في play

/au/ كما في how

/ɔi/ كما في boy

/iə/ كما في near

/eə/ كما في there

/uə/ كما في poor

أما فيما يتعلق بالصوائت في اللغة العربية فهناك ست صوائت أساسية: ثلاثة قصيرة يطلق عليها الحركات وهي الفتحة والضمة والكسرة، وثلاثة طويلة يطلق عليها أحرف المد وهي الألف والواو والياء . ويوضح الجدول 3-3 هذه الصوائت.

الجدول 3-3 الصوائت العربية

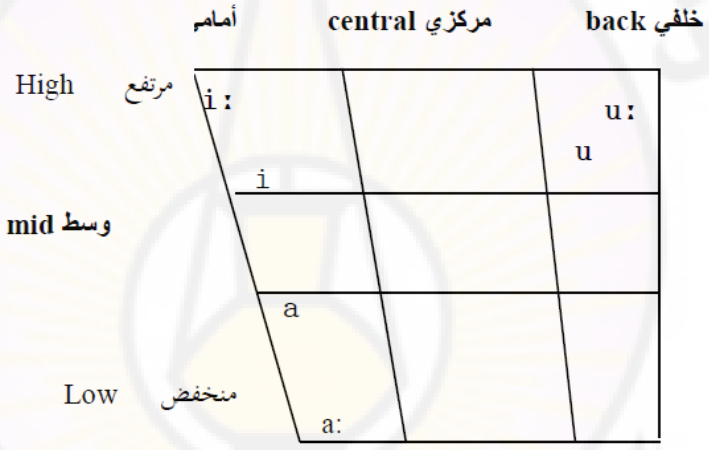

ويمكن وصف الصوائت العربية على النحو التالي:

1- **أمامي مرتفع طويل غير مستدير** كما في كلمة تين /ti:n/

2- **أمامي مرتفع قصير غير مستدير** كما في كلمة سر /sir/

3- **أمامي منخفض طويل غير مستدير** كما في كلمة باب /ba:b/

4- **أمامي منخفض قصير غير مستدير** كما في كلمة سد /sad/

5- **خلفي مرتفع طويل مستدير** كما في كلمة سور /su:/

6- **خلفي مرتفع قصير مستدير** كما في كلمة دب /dub/

وهناك بعض الصوائت الأخرى التي تستخدم في اللغة العربية المحكية أهمها /e:/ و /o:/ كما في كلمتي زيت /ze:t/ وثوم /θo:m/ اللتان تظهران في العربية المحكية.

مخطط توزيعي لفونيمات اللغة العربية
(الأصوات الصامتة)

	هيـــــــاة المخـــــــارج النطقيـــــــة																																							
	الشفتان		الشفة والأسنان	الأسنـــان			الأسنـــان واللثـــة						اللثـــة			الطبق الصلب (الغار)			الطبق اللين			اللهاة	الحلق			الحنجرة		
	ب	م	ف	ذ	ث	ظ	د	ت	ط	ز	س	ص	ض	ن	ل	ر	ش	ج	ي	ك	خ	غ	و	ق	ع	ح	هـ	همزة
الانفجارية	×						×		×				×							×				×					
الاحتكاكية			×	×	×	×				×	×	×													×	×			
المركبة																		×											
الجانبية															×														
الترددية																×													
الأنفية	×													×															
المفخمة						×			×			×	×									×	×						
المرققة	×	×	×	×	×		×	×		×	×			×	×	×	×	×		×	×				×	×	×	×	
المجهورة	×	×		×		×	×			×			×	×	×	×		×	×			×	×		×				
المهموسة			×		×			×	×		×	×					×	×			×	×		×					
اللامجهور واللامهموس																												×	
انصاف العلل (شبه الحركة)																			×				×						

كيفية المر الهوائي

أسئلة وتمارين:

١- ارسم الجهاز النطقي وحدد أماكن نطق الأصوات الصامتة والأصوات التي يتم نطقها في كل مكان منها.

٢- اكتب رمز الصوت الموصوف:

مهموس طبقي انفجاري
مهموس لهوي انفجاري
مجهور غاري شبه صائت
مجهور بلعومي احتكاكي
مهموس أسناني احتكاكي
مهموس طبقي انفجاري
مهموس لثوي احتكاكي مفخم
مجهور أسناني احتكاكي مفخم
مهموس مزماري احتكاكي
مجهور لثوي احتكاكي
مجهور شفوي انفجاري
مهموس لثوي انفجاري

٣- صف الأصوات الآتية:

[ʔ]

أ- [dʒ]

ب- [ɪɪ]

ج- [ħ]

د- [ð̲]

هـ- [p]

و- [i:]

ز- [a:]

٤- عرف ما يأتي:

- علم الصوتيات
- علم فيزياء الكلام
- فتحة المزمار
- الصوت الأنفي
- الصوت المزجي

٥- مما يتكون الجهاز النطقي؟

٦- عرف النواطق وبين أقسامها.

٧- صنف الأصوات اللغوية تبعاً للمحددات الخمسة.

علم الأصوات الوظيفي (الفونولوجيا Phonology)

وظيفة الصوت في اللغة

فيما سبق وصفنا الأصوات من ناحية نطقية، وتبين لنا أن مصدر جميع الأصوات واحد وهو تيار الهواء الخارج من الرئتين أثناء عملية الزفير، وأن الخصائص المختلفة للأصوات تتحدد تبعا لما يحدث لهذا التيار من تشكيلات مختلفة في الحنجرة وتجويف البلعوم والفم والأنف. إضافة إلى ذلك فقد قسمنا الأصوات إلى مجموعتين هما الصوامت والصوائت، كما عرضنا للمحددات التي نستخدمها لوصفها. ولكننا لم نتعرض لوظيفة الصوت في اللغة. فما هي وظيفة الصوت في اللغة، وهل جميع الأصوات المستخدمة في لغة ما لها نفس الوزن. سنحاول فيما يلي التحدث عن وظائف الأصوات اللغوية، وأهميتها في اللغات، وهذا النوع من الدراسة يعرف بعلم الأصوات الوظيفي أو الفونولوجيا Phonology.

تبحث الفونولوجيا في الآلية التي تعمل الأصوات من خلالها لتكوين النظام الصوتي في لغة ما. ومعرفة المتكلم للغة ونظامها الصوتي تمكنه من تشكيل كلمات ذات معنى. كما تمكنه من التمييز بين أصوات هذه اللغة وأصوات في لغات أخرى لا تتمشى والنظام الصوتي للغته. وسنتناول فيما تبقى من هذا الفصل بعض الموضوعات التي يعرضها علم الأصوات الوظيفي كالوحدة الصوتية الأساسية "الفونيم" وأشكال الفونيم "الألوفونات" والخصائص المميزة للأصوات وبعض قواعد النظام الصوتي.

الفونيم Phoneme

يمكن تعريف الفونيم بأنه **أصغر وحدة صوتية تؤدي إلى تغيير في المعنى.** ولتوضيح المقصود بهذه العبارة قارن بين كل كلمة من كلمات العمود الأيمن والكلمة التي تقابلها في العمود الأيسر وحاول أن تحدد أوجه التشابه والاختلاف بينهما. ماذا تستنتج؟

سال	زال
كل	دل
حالي	عالي
عاد	عود

من الواضح أن كل كلمة من الكلمات أعلاه تختلف عن الكلمة المقابلة لها في المعنى. ولكن ما هو سبب الاختلاف في المعنى بينها. إذا أمعنا النظر في كلمتي **سال** و**زال** نجد أنهما متطابقتان تماما باستثناء الصوت الأول، حيث تبدأ كلمة **سال**

بالصوت /s/ بينما تبدأ كلمة زال بالصوت /z/. وبما أنهما مختلفتان في المعنى يمكن إرجاع سبب هذا الاختلاف إلى اختلاف الصوت الأول في كل منهما. ولذلك يمكن القول بأن /s/ و /z/ صوتين مميزين، أي أن كل منهما يؤدي إلى تغير المعنى إذا ما حل مكان الآخر في كلمة ما. ومن هنا استخدم مصطلح فونيم ليدل على الأصوات المميزة التي تؤدي إلى تغيير في المعنى. وهكذا اعتبار كل صوت من الأصوات التي تبدأ بها الكلمات الواردة أعلاه فونيما، لأنها تؤدي إلى تغيير في معاني هذه الكلمات. وهذا مثال آخر من اللغة الانجليزية لتوضيح مفهوم الفونيم، فالصوتان /p/ و/b/ يؤديان إلى اختلاف في معاني الكلمات المتقابلة التالية.

/p/	/b/
Park	Bark
Pray	Bray
cup	Cub
Pack	Back
Rope	Robe

الثنائيات الدنيا Minimal pairs

إن السؤال الذي يمكن أن يتبادر إلى ذهن القارئ هو: كيف حدد الباحثون الفونيمات في اللغات المختلفة؟ استخدم الباحثون الثنائيات الدنيا لتحديد فيما إذا كان الصوت المستخدم في لغة ما فونيما أم لا. والثنائية الدنيا عبارة عن كلمتين متشابهتين في الأصوات وترتيبها باستثناء صوت واحد. قرين بين كل كلمتين في مجموعة الكلمات التالية:

حَديْ	جَديْ
يَطيرْ	يَصيرْ
عَريفْ	عَريشْ

فكلمتي حديد وجديد تتشابهان في جميع الأصوات باستثناء الصوت الأول في كل منهما /ħ/ و/ʤ/ على التوالي، بينما تختلف الكلمتان في الثنائية الثانية في صوتي

/t/ و/s/ وهكذا. ويمكن من خلال هذه الطريقة وضع قائمة بعدد اكبر من الكلمات تشبه بعضها بعضا من حيث عدد الأصوات وترتيبها باستثناء صوت واحد، وتسمى هذه مجموعة دنيا minimal set كما في المجموعتين التاليتين من اللغتين العربية والإنجليزية.

المجموعة أ	المجموعة ب
مال	beat
كال	boot
زال	But
سال	bite
	boat

ويعتبر الصوت الأول في كل كلمة من الكلمات العربية فونيما لأنه غير معاني هذه الكلمات بينما يتعبر الصائت في كل كلمة من الكلمات الإنجليزية (المجموعة ب) فونيما لتغييره معاني هذه الكلمات.

الفونيمات والأصوات Phonemes and sounds

تحدثنا فيما سبق عن الفونيم، وتبين لنا أن الخاصية الأساسية للفونيم هي تغيير المعنى، ومن هنا يعرف الفونيم بأنه وحدة صوتية مميزة، أي أنه يميز الكلمات عن بعضها بعضا من حيث اللفظ والمعنى. ولكن يمكن للمرء أن يتساءل هل جميع الأصوات في اللغة فونيمات؟ وللإجابة عن السؤال دعناً نتفحص الكلمتين التاليتين: **can، cat**. فكل واحدة منهما تحتوي على نفس الصائت /i/، ولكن الصائت في الكلمة can ينطق بطريقة تختلف قليلاً عن طريقة نطقه في الكلمة cat. فبينما ترافق خاصية الغنة nasalization نطق الصائت في الكلمة الأولى نظرا لوجود صوت أنفي بعد الصائت مباشرة لا نجد هذه الصفة موجودة في الصائت عند نطق الكلمة الثانية، ويمكن أن نميز بين الصوتين عن طريق استخدام الرموز الثانوية diacritics، فبينما يكتب الصائت في كلمة **cat** [i] يكتب الصائت في كلمة **can** مضافا إليه الرمز الثانوي للغنة [ĩ]. وهكذا يمكن القول بأن الصائت غير المغنون في كلمة cat والصائت المغنون في كلمة can ينتميان إلى فونيم واحد، وعليه فإن كل كل فونيم في اللغة يمثل صوتا أو أكثر بينما لا يعتبر كل صوت فونيما بالضرورة. ونميز بين

الكتابة الفونيمية التي تمثل الفونيمات وتلك التي تمثل الأصوات باستخدام شرطتين مائلتين / / في الكتابة الفونيمية وقوسين مربعين [ ] في الكتابة الصوتية.

الفونيمات والألوفونات Phonemes and allophones

يتضح مما تقدم أن الفونيم يتأثر بالسياق الصوتي الذي يظهر فيه مما يجعل له أشكالا تختلف باختلاف السياق. وقد أطلق علماء اللغة على أشكال الفونيم ألوفونات allophones . ويمكن تعريف الألوفون بأنه شكل صوتي من أشكال الفونيم يمكن التنبؤ به (أي أنه يوجد في بيئة صوتية محددة Fromkin and Rodman, 1993). وبعبارة أخرى فان الألوفونات التي يتكون منها كل فونيم لا تظهر بشكل عشوائي وإنما تحكمها قواعد محددة كما في الصائت المغنون [i̯] الذي ظهر عندما كان الصائت /i/متبوعا بصوت انفي. ويعرف هذا النوع من أشكال الفونيم **بالألوفونات التكاملية**، أي التي يكمل بعضها بعضا in complementary distribution، ويعني ذلك أن لكل ألفون من ألوفونات الفونيم سياق صوتي يظهر ولا يمكن لغيره من ألوفونات الفونيم الواحد أن يظهر فيه. وهناك نوع آخر من أشكال الفونيم يمكن تسميتها **بالألوفونات الحرة** free variants، وتظهر هذه الألوفونات في اللهجات حيث يحل صوت محكي محل الشكل الآخر في نفس السياق. وتختلف الألوفونات التكاملية عن الحرة في أن الأخيرة تحل محل بعضها البعض في نفس السياق الصوتي. وفيما يلي تفصيل لكل منهما.

الألوفونات التكاملية يكون لكل ألوفون سياقه الصوتي الخاص به ولا يمكن لغيره أن يحل محله. فعلى سبيل المثال الكلمتان الإنجليزيتان **pot** و**spot** تكتبان صوتيا [$p^hɔt$]، [spɔt]. إذا نظرنا إلى هاتين الكلمتين نجد أن الفونيم /p/ ترافقه نفثة هواء يرمز لها بالرمز[^{h}] بحيث يكتب الألوفون صوتيا هكذا: [p^h] إذا كان في بداية مقطع منبور، كما هو الحال في كلمة **pot**، بينما يكتب [p] إذا كان مسبوقا بصوت [s] في نفس المقطع. ومن هنا يمكننا القول إن العلاقة بين الألوفون [p] والألوفون [p^h] هي علاقة تكاملية، أي أن لكل منها سياق خاص به.

أما الألوفونات الحرة فإنها تحل محل بعضها بعضا في نفس السياق. فمثلا الفونيم /q/ في اللغة العربية له عدة ألوفونات حرة. فكلمة **قال** تنطق بأشكال عديدة تبعاً للهجة المستخدمة، فقد تنطق:

1- [q] [qɑ:l] عند من يتحدث الفصحى

2- [G] [Gɑ:l]

3- [g] [gɑ:l]

4- [k] [kɑ:l]

5- [ʔ] [ʔɑ:l]

نلاحظ من هذه الأمثلة أن الألوفون الحر يمكن أن يحل محل الألوفون الحر الآخر في نفس السياق الصوتي ولكن من قبل مستخدم لهجة أخرى في لغة ما.

الخصائص المميزة Distinctive features

كما أسلفنا، يقدم علم الصوتيات وصفا للأصوات/الفونيمات من حيث مكان نطقها وكيفية نطقها وكذلك من حيث الهمس والجهر، وكذلك ارتفاع وانخفاض اللسان باتجاه سف الحلق، وتقدمه وتأخره في الفم، وطول الصوت وقصره واستدارة الشفتين أو انفراجهما بالنسبة للصوائت. أما دراسة النظام الصوتي فتهتم بتحديد فيما إذا كانت وظيفة صوتين محددين هي تغيير المعنى أم لا. ويكون ذلك بمقابلة الخصائص التي يحملها كل صوت وتحديد المتشابه منها والمختلف، ومن ثم تحديد فيما إذا كان الاختلاف قد أدى إلى تغيير في المعنى. فمثلاً إذا نظرنا إلى الثنائية الصغرى **سير زير** نجد أن الصوتين /s/ و /z/ متفقان في جميع الخصائص باستثناء خاصية واحدة هي الهمس والجهر، فالفونيم /s/ مهموس بينما يعتبر /z/ مجهورا. ويعزى الاختلاف في المعنى بين الكلمتين إلى الاختلاف في هذه الخاصية بين الصوتين. ونظرا لأن هذا الاختلاف قد ترتب عليه اختلاف معنى الكلمتين فقد اعتبرت هذه الصفة خاصية مميزة distinctive feature. ونظرا لأن مثل هذه الخصائص أما أن تكون موجودة أو غائبة، فقد تم اعتماد النظام الثنائي binary system لوصفها. فإذا ما كانت الخاصية المميزة موجودة فقد رمز لها بـ + وإذا كانت غائبة فيرمز لها بـ -. فالفونيم /s/ [- voiced] بينما تكون [+] الفونيم /z/ [+voiced]. وفيما يلي استعراض لبعض الخصائص المميزة الأساسية(Chomsky and Halle, 1968; Singh and Polen, 1972 cited in Lowe, 1994).

1. الخاصية المقطعية [± syllabic]

هذه الخاصية تصف الأصوات التي تشكل نواة المقطع، وعليه فإنها تستخدم في العادة لتصنيف الصوائت فجميع الصوائت تحمل الخاصية [+ syllabic] أما الصوامت

فتحمل الخاصية [- syllabic]. وهناك بعض الصوامت التي يمكن لها في سياقات معينة أن تحمل الصفة [+ syllabic]، وهذه الصوامت هي /m/ و /n/ و /l/. وفي حالة كون هذه الصوامت مقطعية يوضع الرمز [m̩] تحت الصامت.

2. الخاصية الصامتية [± consonantal]

تصف هذه الخاصية الأصوات التي يرافق نطقها تضييق جزئي أو إعاقة تامة لمسار تيار الهواء ويشمل ذلك جميع الأصوات ما عدا الصوائت وشبه الصوائت.

3. الخاصية الرنانة [± sonorant]

تصف هذه الخاصية الأصوات التي يسمح فيها الجهاز النطقي للوترين الصوتيين بالتذبذب الحر حيث لا توجد لأي من هذه الأصوات نظائر مهموسة، وتضم مجموعات الأصوات الأنفية والمائعة وشبه الصائتة إضافة إلى الصوائت.

وهناك مجموعة أخرى من الخصائص التي تصنف الأصوات ضمن مجموعات الأصوات، وفيما يلي بعض هذه الخصائص.

1. الخاصية الأنفية [± nasal]

تصف هذه الخاصية الأصوات التي ينخفض سقف الحلق اللين عند النطق بها، بحيثُ يِسْمح للهواء بالمرور من خلال فتحة الأنف.

2. الخاصية الاستمرارية [± continuant]

تصف هذه الخاصية الأصوات التي يمر تيار الهواء أثناء نطقها بحرية. وتشمل مجموع الأصوات الاحتكاكية والمائعة وشبه الصائتة. وهناك من يعتبرالأنفية ضمن هذه المجموعة (Singh and Polen, 1973) نظرا لمرور الهواء بحرية من الأنف عند النطق بها، بينما يعتبرها البعض الآخر غير استمرارية (Chomsky and Halle, 1968).

3. خاصية التسريح المتأخر [± Delayed Release]

وتعني هذه الخاصية تأخير إطلاق سراح الهواء عند النطق بالصوت الانفجاري والسماح له بالخروج بالتزامن مع انتاج الصوت الاحتكاكي كما هو الحال في إنتاج الأصوات المزجية.

4. خاصية الجهر والهمس [± voiced]

تصف هذه الخاصية وضع الأوتار الصوتية عند نطق الأصوات. فالصوت يكون مجهورا إذا كان الوتران الصوتيان يتذبذبان أثناء النطق به، ويكون مهموسا إذا كانا متباعدان.

يبين الجدول 4–1 الخصائص المميزة لمجموعات الأصوات الرئيسة.

جدول 4–1 الخصائص المميزة لمجموعات الأصوات الرئيسة

المجموعة	المعيقة	Obstruents		الأنفية	المائعة		شبه الصائتة	الصائتة
الخاصية	الانفجارية	الاحتكاكية	المزجية		/l/	/r/		
صامتية	+	+	+	+	+	+	–	–
مقطعية	–	–	–	–	–	–	–	+
رنانة	–	–	–	+	+	+	+	+

المقطع Syllable

يتألف المقطع من صوت واحد أو اكثر، ولابد للمقطع أن يحتوي على صوت صائت يشكل نواة المقطع nucleus. ويشكل الصامت الذي يسبق الصائت في المقطع **بداية المقطع** onset بينما يعتبر الصامت الذي يليه **نهاية المقطع** coda. ويمكن أن يكون الصائت العنصر الوحيد في المقطع كما في الضمير I [ai] باللغة الإنجليزية، كما يمكن أن يبدأ المقطع بصامت أو أكثر دون أن ينتهي بأية صوامت كما في /bi:/ **bee** و /skai/ sky، ويسمى هذا النوع **المقطع المفتوح** open syllable بينما يسمى المقطع المنتهى بصامت أو اكثر **مقطعا مغلقا** closed syllable كما في **book** /buk/. ويبين الشكل 3–3 رسماً بيانياً للعناصر التي يتكون منها المقطع.

الشكل 3–3 : العناصر التي يتكون منها المقطع

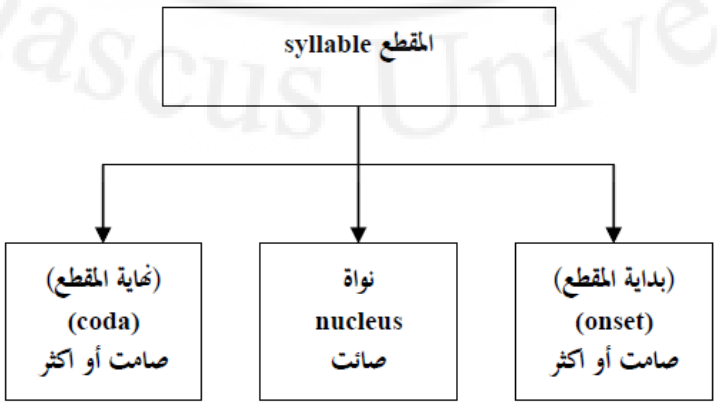

يلاحظ في هذا الشكل أننا وضعنا بداية المقطع ونهايته بين أقواس لنبين أن هذه العناصر اختيارية في المقطع. أي أن المقطع يمكن أن يقتصر على النواة كما هو الحال في **/ai/ I** في اللغة الإنجليزية.

يختلف عدد الصوامت التي تسبق النواة أو تلك التي تتبعها من لغة إلى أخرى. فاللغة العربية الفصحى مثلاً لا تسمح بوجود أكثر من صامت واحد في بداية المقطع ولا تسمح بوجود اكثر من صامتين في نهاية المقطع. إضافة إلى ذلك فإن وجود صامت في بداية المقطع يعتبر إجباريا في اللغة العربية بينما يكون اختياريا في اللغة الإنجليزية.

بنية المقطع Syllable structure

قبل أن نعرض الأشكال المختلفة لبنية المقطع فإننا بحاجة إلى التعرف على بعض الرموز المستخدمة في الدلالة على الصائت والصامت. حيث يدل الرمز (c) الحرف الأول من كلمة consonant على وجود صامت في المقطع ويكرر هذا الرمز كلما زاد عدد الصوامت. بينما يدل الرمز (v) الحرف الأول من كلمة (vowel) على الصائت الموجود في المقطع. وترتب كل من الصوامت والصوائت حسب موقعها في المقطع.

يوجد في اللغة العربية الفصحى ثلاثة أشكال للمقطع هي: cv , cvc , cvcc . كما في **كتبَ** [ka.ta.ba] **ومكتوبْ** [mak.tu:b] **وهندْ** [hind]. إلا أن المقطع ccvc يظهر في بعض اللهجات العامية كما في **بلادْ** [bla:d]. ونظرا لأن الصائت الذي هو الذي نواة المقطع قد يكون طويلاً كما في [i:] أو قصيراً كما في [i]، واعتبر آخرون (أبو سليم 1987) أن بنية المقطع في اللغة العربية الفصحى قد تتخذ واحدا من ستة أشكال (جدول 4–4) على أساس تقسيم الصوائت إلى طويلة وقصيرة. يقدم الجدولان 4–4 و 4–5 أشكال المقطع في اللغتين العربية الفصحى والإنجليزية.

أشكال المقاطع في العربية الفصحى

(1)	صامت + صائت	Cv	[ka.ta.ba]	**كتب**
(2)	صامت + صائت طويل + صامت	cvc	[ti:n]	**تين**
(3)	صامت + صائت قصير + صامت+ صامت	cvcc	[bint]	**بنت**

أشكال المقاطع في اللغة الإنجليزية

I	[ai]	V	صائت	**(1)**
Two	[tu:]	Cv	صامت + صائت	**(2)**
eat	[i:t]	Vc	صائت + صامت	**(3)**
book	[buk]	Cvc	صامت + صائت + صامت	**(4)**
cry	[krai]	Ccv	صامت + صامت + صائت	**(5)**
green	[gri:n]	ccvc	صامت + صامت + صائت + صامت	**(6)**
desk	[desk]	cvcc	صامت + صائت + صامت + صامت	**(7)**
speaks	[spi:ks]	ccvcc	صامت + صامت+ صائت + صامت+ صامت	**(8)**
sixth	[siks θ]	cvccc	صامت + صائت + صامت + صامت + صامت	**(9)**
screams	[skri:mz]	cccvcc	صامت+ صامت+ صامت+ صائت+ صامت+ صامت	**(10)**
twelfths	[twelfθs]	ccvcccc	صامت+صامت+صائت+صامت+صامت+صامت+صامت	**(11)**
spread	[spred]	cccvc	صامت+ صامت + صامت+ صائت+ صامت	**(12)**
springs	[spriŋz]	cccvcc	صامت+ صامت+ صامت+ صائت+ صامت+ صامت	**(13)**

النبر Stress

يمثل المقطع الوحدة التي يظهر عليها النبر. وبالنسبة للمتكلم فالنبر يعني المزيد من النشاط التنفسي أو الجهد العضلي أثناء إنتاج المقطع. أما بالنسبة للمستمع فالنبر يعني زيادة في علو الصوت للمقطع المنبور وارتفاع نغمته المقارنة بالمقطع غير المنبور، ويرجع ذلك لزيادة تردد الأوتار الصوتية بفعل الجهد الإضافي المبذول. وهناك مقطع واحد منبور في كل كلمة من كلمات اللغة. وتختلف القواعد التي تحدد موقع النبر في الكلمة من لغة إلى أخرى، فبعض اللغات تشتمل على قواعد ثابتة للنبر، بينما لا توجد قواعد محددة للنبر في لغات أخرى حيث تزيد الاستثناءات على القواعد المنتظمة. وتقدم اللغة الانجليزية مثالا على اللغات التي لا يخضع فيها النبر لقواعد ثابتة، فموقع النبر على مقاطع الكلمات لا يتحدد وفق قاعدة ثابتة. فعلى سبيل المثال نجد أن النبر في كلمة **photograph** يقع على المقطع الأول **pho**، أي أن لفظه يتم بمجهود أكبر مقارنة بالمجهود المبذول في لفظ المقاطع الأخرى في الكلمة: **(to, graph)**، إلا أن موقع النبر يتغير في الكلمة المشتقة منها **photographer**

حيث يحمل المقطع الثالث gra النبر بدلا من المقطع الأول. وهناك أمثلة عديدة مشابهة لا مجال لعرضها هنا بالتفصيل.

وتعتبر التشيكية والفرنسية والسواحيلية من اللغات التي تشتمل على قواعد ثابتة للنبر، حيث يكون النبر على مقطع معين في الكلمة، كالمقطع الأول في التشيكية مثلا. (Clark and Yallop, 1990). وتندرج اللغة العربية ضمن هذه المجموعة من اللغات من التزام النبر فيها قواعد محددة تبعا لبنية المقاطع التي تتألف منها الكلمة. فعلى سبيل المثال يكون النبر على المقطع الأول من كلمة **دَرَسَ** التي تتألف من ثلاثة مقاطع يتألف كل منها من صامت وصائت قصير، في حين ينتقل إلى المقطع الثاني في كلمة **مدروس** التي تتألف من مقطعين (صامت +صائت قصير+ صامت في المقطع الأول وصامت + صائت طويل +صامت في المقطع الثاني) حيث يكون المقطع ذو الصائت الطويل منبورا إذا تشابه المقطعان في الصوامت.

وللنبر وظائف متعددة. أهمها تنظيم الإيقاع والجرس الموسيقي للغة، كما يمكن أن يكون له دور دلالي وصرفي. ففي اللغة الانجليزية يؤدي نقل النبر من مقطع إلى آخر في الكلمة إلى تغيير معناها كما هو الحال في كلمة object (النبر على المقطع الأول) و object (النبر على المقطع الثاني). كما يمكن أن يحدد النبر صيغة التثنية في العربية كما هو الحال في "كتب" و "كتبا" حيث يكون البر في الفعل المفرد على المقطع الأول بينما يصبح على المقطع الأخير في حال التثنية.

التنغيم Intonation

كما أن النبر يعتبر من خصائص المقطع فإن التنغيم من خصائص العبارات التي يتفوه بها المتكلم. وهو عبارة عن مجموعة التغيرات التي تطرأ على النغمة عند إصدار المتكلم جملة أو عبارة (Ladefoged, 1982: 99). وللتنغيم وظائف نحوية ودلالية إضافة إلى التعبير عن موقف المتكلم تجاه أمر ما وأحاسيسه تجاه الآخرين. فعلى سبيل المثال يستخدم المتكلم النغمة الصاعدة مع الجملة الخبرية ليحولها إلى سؤال يتطلب الإجابة بنعم أو لا كما في **ربحت الجائزة؟** ↗، بينما يستخدم النغمة النازلة إذا كان يريد أن يخبر المستمع بأنه ربح الجائزة فيقول له: **ربحت الجائزة** ↘. وهكذا يمكن للتنغيم أن يؤدي وظيفة نحوية تميز بين الجمل تبعا لوظيفتها اللغوية (خبرية مقابل استفهامية). كما يمكن أن يؤدي التنغيم وظيفة دلالية. فمثلا إذا سألك شخص عن

أخبار عملك بقوله: **ما هي أخبار العمل؟** ↗ وأجبته: **جيدة** ↘، أي باستخدام نغمة نازلة صاعدة فإن ذلك يعني أن أمور العمل لا تسير على ما يرام. بينما إذا أجبته **جيدة** ↗ بنغمة نازلة فإنك تؤكد له أن أمور العمل تسير على ما يرام. نلاحظ مما تقدم أن إجابة المتكلم تعكس مدى رضاه عن سير العمل دون أن يغير من أجابته أو يضيف لها أي شيء. ومن يتبين لنا الوظيفة الدلالية التي يمكن أن يقدمها التنغيم.

العمليات الفونولوجية Phonological Processes

ناقشنا في هذا الفصل الفونيمات وخصائصها والألوفونات والأصوات وبنية المقطع، ولكننا لم نتعرض لتأثير الأصوات على بعضها البعض في الكلمات والكلام المتصلز وقد أن الفونيم وحدة مجردة يتمثل صوتيا بمجموعة من الألوفونات التكاملية تبعا للسياق الذي يظهر فيه. فمثلا الفونيم /p/ في اللغة الإنجليزية ترافقه نفثة هواء إذا استهل به مقطع منبور كما في كلمة /pin/ ويمثل صوتيا هكذا [p^hin] غير أن هذه النفثة من الهواء تزول في حالة وجود /s/ قبل صوت /p/ كما في كلمة /spin/ التي تكتب صوتيا [spin]. إ وبعبارة أخرى فان استخدام الألوفون لا يكون عشوائيا، بل هناك سياقات فونولوجية محددة تحكم هذه العملية. وقد أطلق على التغيرات التي تتعرض لها الألوفونات في السياقات الصوتية بالعمليات الفونولوجية. كما أطلق على القواعد التي تحدد حدوث هذه التغيرات بالقواعد الفونولوجية phonological rules.

أنواع القواعد الفونولوجية

يمكن تقسيم العمليات الفونولوجية إلى أربعة أنواع رئيسة هي: عمليات التجانس assimilation processes وعمليات االإضافة addition processes وعمليات الحذف deletion processes وعمليات التبادل metathesis processes (Fromkin and Rodman, 1993). ومن الجدير ذكره أن العمليات الفونولوجية تؤدي غالباً إلى تسهيل عملية النطق والاقتصاد فيها ما أمكن، ولهذا فمن غير المستغرب أن يقوم الأطفال في المراحل الأولى لاكتساب اللغة بالإفادة من هذه العمليات للتغلب على المشاكل التي تواجههم عند نطق الأصوات المختلفة في اللغة التي يتعرضون لها بشكل صحيح. فالطفل يقول [ti:] tea بدلا من [si:] بغرض التبسيط لعدم قدرته على إنتاج صوت السين في المراحل المبكرة من اكتسابه النظام الفونولوجي (Bernthal, Banskon, & Flipsen, 2016; Creghead, Newman, and Secord, 1989). وفيما عرض مختصر لكل نوع من أنواع العمليات الفونولوجية.

1- عمليات التجانس Assimilation Processes

يقصد بعمليات التجانس أن الصوت يكتسب خاصية صوتية أو اكثر من الأصوات المحيطة به. وقد يكون التجانس جزئيا كما هو الحال في في إضافة الغنة التي عرضنا لها أعلاه. وقد يكون التجانس تاما كأن يلفظ الطفل [tita:b] بدلا من [kita:b].

2- عمليات الإضافة Addition Processes

العملية الفونولوجية الثانية تتعلق بإضافة صوت دون أن يكون للخاصية المضافة أية علاقة تجانس بين الأصوات المتجاورة. فمن عمليات الإضافة الموجودة في العربية المحكية في الأردن إضافة صائت لفصل الصامتين المتتابعين في المقطع الواحد كما هو الحال في كلمة **بنت** [bint] التي تصبح [binit] في اللغة المحكية.

3- عمليات الحذف Deletion Processes

عمليات الحذف هي عكس عمليات الإضافة حيث يتم حذف صوت من أصوات الكلمة. ويظهر ذلك في اللغة الفرنسية (Fromkin and Rodman, 1993) حيث يتم حذف الصامت من نهاية الكلمة إذا كانت الكلمة التالية تبدأ بصوت صامت. كما في:

patit tablo → pati tablo والتي تعني صورة صغيرة.

4- عمليات التبادل Metathesis Processes

العملية الأخيرة التي نود أن نورد أمثلة عليها تتعلق بعمليات التبادل. وهي من العمليات قليلة الشيوع التي تظهر في بعض الكلمات في اللهجات كما هو الحال في كلمة [æsk] والتي يلفظها الأمريكان الأفارقة [æks]. ويحدث الشيء نفسه في كلمة **ملعقة** والتي تنطق في اللهجة المحكية **معلقة**. ومن الأمثلة أيضا كلمة مسرح التي يلفظها بعض الناس "مرسح".

أسئلة وتمارين:

1- عرف ما يأتي وهات مثالاً توضيحياً:

الفونيم

الألوفون

الثائية الدنيا

المقطع

التجانس

2- اذكر الخاصية التي تميز كل زوج من الفونيمات الآتية:

مثال /b/ : /m/ / ± انفي/

أ- /s/ : /z/

ب- /s/ : /t/

جـ- /a/ : /w/

د- /d/ : /r/

هـ- /s/ : /u:/

3- هات ثنائيات دنيا تمثل كل زوج من الفونيمات الآتية:

مثال: [s] : [s̲] ساد صاد

أ- /χ/:/ʁ/

ب- /i:/:/i/

جـ- /d/:/t/

د- /k/:/g/

هـ- /d/:/d̲/

و- /ɑ:/:/u:/

4-

حلل الكلمات التالية إلى مقاطع وبين مم يتكون كل مقطع

مثال مكتب

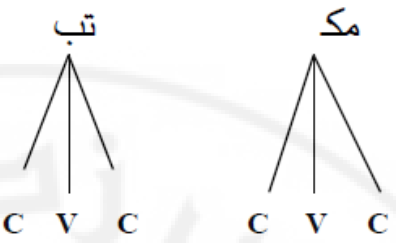

أ- مُسْتَشْفى

ب- سَأَلْ

جـ- فَرْدْ

د- يَتَهافتونْ

هـ- مُكَعبْ

5- أعط مثالا واحدا غير الذي ورد في هذا الفصل على عمليات التجانس، الحذف، الأضافة، التبادل

م6

المستوى النحـــوي
Syntax

ما هو علم النحو ؟

علم النحو Syntax هو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول معرفة الناطقين بلغة معينة ببنية الجمل وأشـــباه الجمل sentences and phrases في هذه اللغة. ويذهب كثير من الباحثين إلى أن علم النحو وعلم الصـرف يشـكلان معاً علم القواعد Grammar ولكن بعض اللغويين(Chomsky, 1981) يســـتخدم كلمة قواعد أحيانا للإشارة إلى وصف اللغة بمستوياتها المختلفة.

ويتناول هذا الفصـــل عدداً من المواضـــيع الهامة التي ركز عليها علم النحو كمفهوم السلامة النحوية والغموض ومناهج النظر النحوي وأنواع الجمل.

السلامة النحوية

تتآلف الكلمات لتشـكل جملاً وفق قواعد معينة، وعندما يكون تآلفها مخالفاً لهذه القواعد نحكم عليها بأنها غير ســليمة نحوياً. فالجمل في (1) أدناه تتماشـــى وقواعد النحو في اللغة العربية الفصحى، في حين أن الجمل في (2) تخالفها.

(1) أ. الدرس سهل.

ب. قابلت محمداً في عمان.

جـ. لا تنه عن خلق وتأتي مثله.

د. الساعة الجميلة اشتريت.

هـ. أي المدن أحبّ إلى نفسك؟

(2) أ. * كان الدرس سهل.

ب. * حضر الطالبين المحاضرة.

ج. * خرج عليّ من المستشفى غداً.

د. * اشترى الرجلُ ابنه قميصاً.

لاحظ أننا وضعنا نجمة صغيرة في الزاوية العليا اليمنى لكل جملة من جمل المجموعة (2)، وهذه إشارة اصطلح اللغويون على استخدامها للدلالة على مخالفة الجملة التي تأتي بعدها لقواعد النحو. وبمعنى آخر فإن بنية جمل المجموعة (2) لا يمكن وصفها وفق قواعد نحو اللغة العربية الفصحى على عكس جمل المجموعة (1)، أي أنّ هذا النحو يجيز ويولّد generate جمل المجموعة (1) ولا يسمح بتوليد جمل المجموعة (2).

وهناك علاقة جدلية بين المبنى (التركيب) structure والمعنى meaning فأي تغيير في المبنى لابدّ وأن يستتبع تغيراً في المعنى. فتغيير حركات الإعراب مثلاً يغيّر المعنى. فجملة **شاهد عليّ خليلاً** تختلف في معناها عن **شاهد عليّاً خليلٌ**، كما أن تغيير ترتيب الكلمات التي لا تظهر عليها حركات الإعراب في الجملة يؤدي إلى تغيير في معناها كما في **ارسلت سلمى إلى ليلى كتاباً** و**أرسلت ليلى إلى سلمى كتاباً**.

وفي اللغة العربية، كما في غيرها من اللغات، تتألف الجملة من مجموعة من الكلمات المتتابعة، ولكن تتابع الكلمات لا يشكل جملة بالضرورة. فالتتابع المنسجم مع قواعد النحو ينتج جملاً سليمة نحوياً كجمل المجموعة (1) والتتابع الذي يخالف قواعد النحو ينتج جملاً خاطئة نحوياً كجمل المجموعة (2). والسلامة النحوية لا يقررها شخص بعينه بل تتحدد وفق ضوابط وقواعد يتشارك فيها الناطقون بتلك اللغة وأولئك الذين تعلّموها بإتقان. فقواعد اللغة العربية تحتِّم أن يكون خبر الفعل الناقص **كان** في الجملة (2 أ) منصوباً، ولأن كلمة **سهل** جاءت مرفوعة اختلّت السلامة النحوية. أما الجملة (2 ب) فغير سليمة لأن **الطالبين** هي فاعل الفعل **حضر**، والفاعل لا يكون منصوباً بل مرفوعاً وحتى تستقيم الجملة لابد أن نقول **حضر الطالبان المحاضرة**.

والجملة (3 جـــ) بدأت بالفعل الماضي **خرج** وهذا يتنافى مع الظرف المستقبلي **غدا**. أما جملة (2 د) فتبدأ بالفعل **اشترى**، وهو لا يتعدى إلى مفعولين إلا بحرف الجرّ **لِ** ، والصـحيح أن نقول **اشـترى الرجل لابنه قميصـاً**. إن معرفة الضـوابط النحوية (سـواءً أكان ذلك بصـــورة واعية conscious أو غير واعية unconscious) هي التي تمكّن المتحدثين بلغة ما من تمييز الجمل ذات البناء النحوي الســليم من الجمل ذات البناء النحوي الخاطئ.

والسلامة النحوية لا تعني بالضرورة سلامة في المعنى أو صحة في المعلومات، والعكس صـحيح. أنظر إلى الجمل في (3) أدناه، وحاول أن تتبيّن ما في بعضـها من مشاكل.

(3) أ. دمشق عاصمة سوريا.

ب. تقع مدينة السلط في جنوب الأردن.

جـ.* يوجد في جامعة دمشق قسماً للغويات والصوتيات.

د. أكل الحجر التفاحة.

هـ. مادة اللغويات سهلة جداً.

لابد أنك لاحظت أن جملة (3 أ) هي الجملة الوحيدة الســليمة من حيث النحو والمعنى والمعلومات، أما بقية الجمل فتحوي كل منها مشكلة واحدة على الأقل. فالجملة (3 ب) ســليمة نحوياً ولكنها خاطئة من حيث المعلومات. أما الجملة (3 د) فسليمة نحوياً ولكنها خاطئة من حيث المعنى. فمدينة السلط أقرب إلى شمال الأردن منها إلى جنوبه. أما جملة (3 جـــ) فلا تشوبها شائبة من حيث المعنى والمعلومات، ولكنها خاطئة من حيث النحو، فكلمة **قســماً** يجب أن تكون مرفوعة لأنها فاعل. وجملة (3 هـ) سليمة نحوياً، ولا غبار عليها من حيث المعنى، ولكنّ قارئها قد يؤيد أو لا يؤيد ما فيها من معلومات حسب وجهة نظره الخاصة.

الغموض النحوي Structural ambiguity

(٤) علي: سجّلت ولدي أحمد في مدرسة المدينة الجديدة.

سلمى: متى بنيت المدينة؟

علي: قبل ألف سنة.

سلمى: اذن، متى بنيت المدرسة؟

إن مصدر "التشويش" الذي بدا واضحاً في سؤال سلمى وفي إجابة علي اللاحقة مردّه الغموض الذي تتضـمنه عبارة **مدرسـة المدينة الجديدة** التي تزودّنا بمثال على **الغموض النحوي**. فهذه العبارة يمكن أن تعني (أ) أن المدرسـة جديدة أو (ب) أن المدينة جديدة، وهذا الاختلاف في المعنى سـببه أن هذه العبارة تنطوي أصـلاً على بنائين مختلفين يوضحهما الرسمان التاليان:

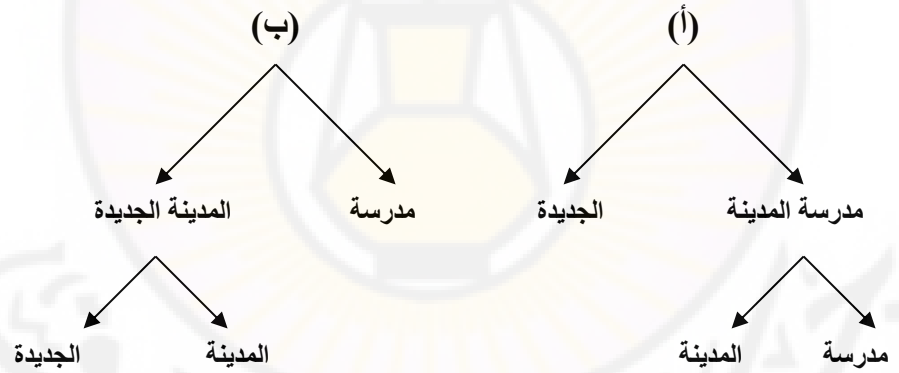

وهكذا، فإن المعرفة النحوية تتضـمن القدرة على فهم الجمل الغامضـة ambiguous sentences وتفسـيرها. ونعني بالجمل الغامضـة تلك التي يكون لكلٍّ منها أكثر من معنى.

الغموض المعجمي (المفرداتي) Lexical ambiguity

وهناك نوع آخر من الغموض مردّه أن إحدى مفردات الجملة لها أكثر من معنى ويسـمى **الغموض المعجمي**. فلو أنعمت النظر في كلمة **كبار** لوجدت أنها قد تعني

راشدين أو **لهم مكانة رفيعة**. فإذا قال أحدهم الجملة (5) أدناه، قفز إلى ذهن المستمع أحد المعنيين أو كلاهما إلا اذا كان عارفاً بالسياق الذي قيلت فيه هذه الجملة.

(5) التعامل مع الكبار سهل.

أما جملة رقم (6)، فلا تحتوي على أي غموض، فكلمة **كبار** هنا تعني **راشدين**.

(6) التعامل مع الكبار سهل على عكس التعامل مع الأطفال.

مناهج النظر النحوي

تطوّرت نظرة دارسي اللغة إلى النحو عبر العصور، ورأى بعضهم أن الوصف النحوي grammatical description للغة اللاتينية أو اليونانية القديمة يمكن استعارته وتطبيقه على اللغات الأخرى كالإنجليزية والألمانية والعربية وغيرها، ورأى آخرون غير ذلك. وسنعرض في هذه العجالة ثلاثة من اتجاهات النحوي وهي المنحى التقليدي والمنحى التقريري والمنحى الوصفي.

المنحى التقليدي The traditional approach

نظر أصحاب هذا المنحى إلى قواعد اللغة اللاتينية واليونانية القديمة على أنها الأنموذج الواجب احتذاؤه عند توصيف البنية النحوية للغات الأخرى. ويشار عادة إلى النحو الذي تحكمه هذه النظرة بالنحو التقليدي. ويشيع في هذا النحو استخدام مصطلحات terms مثل أقسام الكلام parts of speech كالاسم noun والفعل verb والصفة adjective والظرف adverb والأداة article وحرف الجر preposition والضمير pronoun والرابط conjunction، إضافة إلى مصطلحات أخرى مثل العدد number وصيغة الفعل tense والجنس gender والشخص (المتكلم والمخاطب والغائب) person ، الخ. ويتطلب بناء الجملة منّا أن نأخذ بعين الاعتبار العلاقات التي تقوم بين الأجزاء أو المكونات التي تمثلها هذه المصطلحات، كتوافق جنس الفعل مع الفاعل وتوافق عدد الفعل مع الاسم الذي بدئ به الكلام. فجملة (7) خاطئة نحوياً لأن الفاعل مذّكر في حين لحق بالفعل ضمير غير مناسب هو تاء التأنيث، والصحيح

القول **تكلمّ المهندس**. أما جملة (8) فخاطئة أيضـا ولكن لسـبب آخر، فإذا تبع الفعل الاسم توافق معه في العدد، والصحيح القول **الأولاد ضحكوا**.

(7) * تكلمت المهندس.

(8) * الأولاد ضحك.

والفعل قد يكون مضارعاً أو ماضياً من حيث صيغته، فجملة (9) أدناه

(9) يدرس الطلبة أمس

خاطئة لأن صـيغة الفعل لا تتفق مع الظرف، فالصـيغة في حالة المضـارع، والظرف في حالة الماضي، والصحيح القول **درس الطلبة أمس**. والفعل قد يكون مبنياً للمعلوم أو للمجهول. أنظر الجملتين (10أ) و (10ب).

(10) أ. باعت السيارةُ.

ب. بيعت السيارةُ.

فالجملة (10أ) لا يقبلها الناطقون بالعربية لأن فعلها مبني للمعلوم، والجملة الصحيحة هي (10ب).

ومما يؤخذ على النحو التقليدي أن ما يلزم من تقسـيمات (نماذج) categories ومصطلحات لوصف اللغة اللاتينية أو اليونانية قد لا يكون ضرورياً لوصف اللغات الأخرى. وكمثال على ذلك لننظر إلى تصـريف الفعل المضـارع والمبني للمعلوم **amare** في اللاتينية وما يقابله في العربية **يحبّ** والانجليزية **love** مع بعض الضمائر.

(11) المتكلم المفرد	أنا أُحبّ	amo	I love
المخاطب المفرد	أنت تحبّ	amas	You love
الغائب المفرد	هو يحبّ	amat	He loves

We love	amamus	نحن نحبّ	المتكلم الجمع
You love	amatis	أنتم تحبّون	المخاطب الجمع
They love	amant	هم يحبّون	الغائب الجمع

كما ترى فإن بنية الفعل اللاتيني قد تغيّرت تبعاً للشـــخص الذي يدل عليه الضـمير (متكلم، غائب، مخاطب) وعدده (مفرد أو جمع)، والشـيء ذاته ينطبق على الفعل العربي، ولكن الفعل الإنجليزي ظل ثابتاً باستثناء حالة الغائب المفرد حيث لحق به الحرف **s** . وهذا المثال يشير إلى حقيقة لغوية هامة وهي أن استخدام مصطلحات مثل العدد والشـــخص والجنس قد يكون مبرَّراً في وصـــف الفعل في اللغتين اللاتينية والعربية، ولكن الأمر ليس كذلك تماماً بالنســبة للغة الانجليزية أو على الأقل ليس له نفس الأهمية، وما استعمال هذه المصطلحات على سبيل المثال إلا أحد مظاهر تأثر بعض النحاة بالبنية الوصفية النحوية للغة اللاتينية.

ومن المفيد أن ننوّه هنا إلى أن النحاة العرب القدماء قسمّوا الكلام إلى اسم وفعل وحرف، ولم يقوموا باســتعارة نماذج الوصـــف النحوي الموجودة في اللاتينية وتطبيقها دون إعمال النظر فيها على اللغة العربية. فالصـــفة مثلاً لم تذكر على أنها قســـم مسـتقل، مع أنها كذلك في اللاتينية، ويبدو أنهم لم يفعلوا ذلك لأنهم وجدوها لا تختلف كثيراً في سلوكها النحوي عن الاسم، فإذا جُمع الاسم جمعت معه الصـفة الدالة عليه وإذا أُنِّث أو ذُكِّر أُنِّثت وذُكِّرت معه، فنقول **فلاح نشيط** و **فلاحّون نشيطون** و **فلاحّة نشيطة** و **فلاّحات نشيطات**. أما في الإنجليزية فالصـفة لا تتوافق مع الموصـوف لا من حيث العدد ولا من حيث الجنس، فنقول active peasant ســواء أكنا نتحدث عن فلاّح أو فلاحة، ونقول active peasants في حالة الجمع.

إننا بالطبع لا نقصد هنا أن نصدر حكما بشأن مدى صحة أو دقة ما ذهب اليه النحاة العرب القدماء وإنما أردنا التدليل على أن التقسيمات والمصطلحات التي تناسب

الوصف النحوي للغة ما قد لا تصلح بالضرورة لتوصيف البنية النحوية للغة أخرى، وأن النحاة التقليديين لم يعملوا النظر في كثير من الأحيان في المصطلحات التي أخذوها عن اللاتينية أو اليونانية بل استخدموها نماذج جاهزة فصلّوا نحو اللغات الأخرى على مقاسها.

المنحى التقريري The prescriptive approach

ذهب بعض النحاة في بريطانيا في القرن الثامن عشر شأواً بعيداً في تمسكهم ببنية الجملة في اللغة اللاتينية كأساس لتحديد مدى السلامة اللغوية للجملة الإنجليزية، وشرعوا في وضع قواعد وضوابط لغوية محاكين في ذلك قواعد بناء الجملة في اللاتينية. ويمكن أن نقول شيئاً مشابهاً عن منهج بعض النحاة العرب الذين يعتبرون مثلاً لغة الشعر الجاهلي وكلام أهل البادية في الجاهلية وصدر الإسلام أساساً لإصدار الأحكام النحوية، فما وافقهما من تراكيب لغوية صحيح وما خالفهما معيب. ويشير أصحاب هذا المنهج عادة إلى ما خالف مقاييس "السلامة اللغوية" التي يقررونها بأنه خطأ شائع ويدعون إلى تركه. واللغة بالنسبة لهم كيان يجب أن لا تترك عليه عملية التطور أية آثار، وان حدث ذلك أو شيء منه وجبت إزالته. فالتراكيب "الجديدة" مستوردة والكلمات المستعارة loan words من اللغات الأخرى يجب محاصرتها والتخلص منها، فنقاء اللغة عندهم مسألة تتطلب المتابعة المستمرة والتدقيق الدائم.

ولنأخذ مثالاً من الإنجليزية وآخر من العربية لقواعد تقريرية prescriptive rules وضعها أصحاب هذا المنهج وتمسكوا بها.

اللغة الإنجليزية

القاعدة التقريرية: تستخدم shall مع ضمائر المتكلم I , we وتستخدم will مع بقية الضمائر.

فإذا قال أو كتب طالب جملة (12أ) فعلى المعلّم (من وجهة نظر النحاة التقريريين) أن يصححه، ويطلب اليه استبدال will بـ shall كما في جملة (12ب).

(12) أ. الجملة الخطأ: I will see you on Friday

ب. الجملة الصواب: I shall see you on Friday

اللغة العربية

القاعدة التقريرية: الضمير الدالّ على الاسم يأتي بعده ولا يتقدم عليه.

فإذا قال أو كتب طالب جملة (13أ) فعلى المعلم أن يصحححه، ويطلب اليه أن يذكر الاسم أولاً ثم يأتي بالضمير الدال عليه كما في جملة (13ب).

(13) أ. الجملة الخطأ: في **مؤتمره** الصحفي أكد الوزير على أهمية توفير الأعلاف للمزارعين.

ب. الجملة الصواب: أكد الوزير في مؤتمره الصحفي على أهمية توفير الأعلاف للمزارعين.

وينظر أصحاب هذا الاتجاه بازدراء يصعب إخفاؤه إلى اللهجات المحلية، ويرون فيها خطراً ماحقاً على اللغة الفصحى standard language وينظرون بعين الشك والريبة إلى محاولات بعض اللغويين المحدثين كتابة قواعد لتوصيف البنية اللغوية لهذه اللهجات، كما يرقبون باستمرار تأثير الترجمة من اللغات الأجنبية على "نقاء" اللغة الفصحى، وقد يعزون شيوع استخدام بعض التراكيب النحوية التي لا تتفق والقواعد التقريرية إلى الآثار السلبية للترجمة.

وبعد، فاللغة لابد أن تحكمها قواعد معينة وإلا لما كانت نظاماً يمكن اكتسابه، ولكن المسألة هنا ليست وجود قواعد أو عدمها بل ماهية هذه القواعد. فان كانت هذه القواعد قد وضعت قبل قرون لتصف ما كانت عليه اللغة آنذاك، وجاء من يتمسك بها ويرفض إعادة النظر فيها على ضوء التطور اللغوي اللاحق، أصبحت هذه القواعد

تقريرية. وبمعنى آخر يريد المتمســـكون بها إلزام الناطقين والمتحدثين باللغة المعنية بإطاعتها باستمرار ونبذ ما خالفها من كلامهم، فالشواهد اللغوية القديمة تظل بالنسبة لهم أساس القياس النحوي، اما الشواهد الحديثة فسلامتها محكومة بمدى تطابقها مع الشواهد القديمة.

المنحى الوصفي The descriptive approach

لا شـــك أن وجود قواعد محددة لأي لغة تســـاعد في دراســـة وتعلّم تلك اللغة، ولكن الســـؤال الهام هو: هل تصـــف هذه القواعد اللغة التي يتحدثها الناس اليوم أم أنها وضعت قبل مدة طويلة لتصف اللغة كما كانت عليه آنذاك، وأنها ستستخدم كمقياس صارم لتحديد السلامة اللغوية للبنى والتراكيب التي يستخدمها الناطقون بذات اللغة في الوقت الحاضر؟

ينظر أصحاب الاتجاه الوصفي إلى اللغة ككائن حي ينمو باستمرار وفي كل مرحلة زمنية تكون له ملامح معينة، وبالتالي لا نستطيع أن نصفه لمرة واحدة، وإن فعلنا ذلك فإن هذا الوصـــف لا يعبر بدقة إلا عن وضـــع ذلك الكائن في الفترة التي وصفناه فيها. ويقوم أصحاب هذا المنهج بجمع البيانات اللغوية linguistic data من الناطقين باللغة المعنية مباشرة ويحللونها للوصول إلى تحديد القواعد والضوابط التي تحكم بنيتها، وهم ليســـوا معنيين على الإطلاق بإصـــدار أحكام حول بنية هذه اللغة استناداً إلى قواعد مقررة سلفاً ورثوها عن النحاة الذين وضعوها قبل مئات السنين مثلاً لتصف بنية اللغة آنذاك.

فالقواعد التي يضعها الوصفيون تصف اللغة الدارجة والمستخدمة من الناطقين بها وعلى أساس الشواهد اللغوية التي ينتجونها. ولتوضيح ذلك سنعرض إلى بعض الأمثلة.

(14) She ain’t got none.

هذه الجملة مستخدمة في اللغة الإنجليزية اليوم ومهمة النحوي الوصفي أن يصف بنيتها لا أن ينتقدها. صحيح أن هذه الجملة وجملاً أخرى كثيرة قد لا تروق لعدد أو مجموعة من الناطقين بالانجليزية، وربما يصفونها بأنها عاميّة. ولكن هذه مسألة ذات صبغة اجتماعية ويدرسها علم اللغة الاجتماعي sociolinguistics وليست مسألة نحوية. فإن قال أحد النحاة أن هذه جملة "سيئة" أو "رديئة" فإنه يكون قد أصدر حكماً تقريرياً استند فيه إلى قواعد اللغة الفصحى. وبالطبع فإن مستخدمي هذه الجملة لا تروق لهم أحكام كهذه، فهي بالنسبة لهم إحدى الجمل التي يتواصلون مع بعضهم من خلالها وقد اكتسبوا التركيب النحوي الذي يحكمها من آبائهم والبيئة اللغوية المحيطة بهم وأن مهمة عالم اللغة هي أن يصف هذا التركيب لا أن ينتقده ويرفضه. ونفس الشيء يمكن ان يقال عن جملة (15) أدناه.

(15) علي مَشِرْبش حليب.

فهذه جملة مقبولة ومستخدمة في بعض اللهجات العربية، ولابد أنها تخضع لقواعد معينة، ومهمة اللغوي الوصفي أن يصف هذه القواعد. أما اللغوي التقريري فإنه لا يرتاح إلى هذه الجملة، فالجملة الصحيحة بالنسبة له هي **لم يشرب عليُ حليباً** المستخدمة في اللغة العربية الفصحى. وفي الواقع إن كلاً من الجملتين مقبول لدى الأشخاص الذين يستخدمونها. وهناك قواعد وضوابط وأدوات لعملية النفي negation في كل واحد من المستويين اللغويين المحكي والفصيح يدرسها اللغوي الوصفي ويقارن بينهما مبرزاً التشابه والاختلاف، ولكنه لا يخوض في مسألة أيهما **جيد** أو **رديء**.

إن هذا العرض لا يقلل من أهمية وجود لغة فصحى عند أمة من الأمم أو شعب من الشعوب، ولكن هذه مسألة شائكة لها أبعاد لغوية وسياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية لا مجال لتناولها بالتفصيل هنا. بقي أن نقول أن المنهج الوصفي يشكل أساس الدرس اللغوي الحديث.

ترتيب الكلمات في الجملة Word order

تتألف الجملة من مجموعة من الكلمات وفق قواعد معينة، وأحياناً من كلمة واحدة كما في **أَطْعَمْتُهُ** حيث تحتوي على فعل وفاعل ومفعول به، أما عدد الجمل في أي لغة فغير محدود. وتتفاوت اللغات في مدى المرونة التي تسمح بها بالنسبة للترتيب word order الذي تنتظم الكلمات على أساسه في الجملة. فعلى سبيل المثال فإن قواعد بناء الجملة الخبرية في اللغة الإنجليزية تتطلب الابتداء بالفاعل subject ثم الفعل verb، وإذا كان الفعل متعدياً تبعه المفعول به object. وبناء على ذلك فالجمل في (16) أدناه سليمة البناء نحويا، والجمل في (17) ليست كذلك.

(16) a. Ali opened the window.
b. Salma smiled.
c. Ali ordered a cup of tea.
d. The prices doubled.

(17) a. * Opened Ali the window.
b. * Smiled Salma.
c. * A cup of tea ordered Ali.
d. * Doubled the prices.

والأمر في اللغة العربية الفصحى مختلف، فأي تفحص لعينة من جملها يتيح لنا القول أن بعضها يبتدئ باسم دأب اللغويون العرب على تسميته مبتدأ subject يتبعه اسم آخر (أو صفة) ويسمى خبراً predicate ، وأن بعضها يبتدئ بفعل يتبعه فاعله وإذا كان الفعل متعدياً تبعه مفعوله. وهناك عدد أقل من الجمل تبدأ بكلمات مثل **إنّ** وأخواتها (أنّ، لكن، ليت، لعلّ، الخ) أو **كان** وأخواتها (أصبح، أمسى، صار، بات، الخ) وهذه الجمل أصلها مبتدأ وخبر. ودرج النحاة العرب على تسمية الجمل العربية تبعاً لصنف الكلمة التي تبدأ بها، فهي إذن اسمية أو فعلية. ومع أن الجمل الفعلية تبدأ في العادة بفعل يتبعه الفاعل، والمفعول به إن وجد، إلا أن اللغة العربية الفصحى

تمتاز بقدر كبير من المرونة في ترتيب مكونات الجملة قياســـاً باللغة الانجليزية، وبعض اللغات الأخرى، ومرد ذلك أن المعنى المقصود يتحدد تبعاً للحركات الإعرابية. فالجملتان (18 أ) و (18 ب) أدناه لهما نفس المعنى إذا استثنينا مسألة التوكيد.

(18) أ. اشترى عليٌّ الساعةَ.

ب. اشترى الساعةَ عليٌّ.

فتبادل المواقع بين كلمتي **علي** و **الساعة** لم يؤثر على المعنى لأن أيا منهما لم تغير حركتها الإعرابية أو بعبارة أخرى وظيفتها النحوية، وظلّ **عليٌ** هو الفاعل و **الساعة** هي المفعول به.

ويصـنف اللغويون اللغات إلى مجموعتين احداهما تسـمح بترتيب حر للمكونات الأسـاسـية للجملة free word order كلغة وارلبيري Warlpiri (لغة سـكان اسـتراليا الأصـليين)، والأخرى تفرض ضـوابط على هذا الترتيب word order rules، كاللغة الإنجليزية. وتتوزع اللغات التي تنتظم فيها كلمات الجملة وفق قواعد معينة إلى ثلاث فئات تبعاً للترتيب الشـائع للفاعل والمفعول به والفعل. وتمثل العربية الفصـحى واللغة الاسكتلندية Gaelic نموذجاً للفئة الأولى (فعل V ، فاعل S ومفعول به **O** ، أي انها تنتمي إلى فئة **VSO**)، أما الانجليزية فتنتمي إلى فئة **SVO** (فالجملة فيها تبدأ بالفاعل يليه الفعل ثم المفعول به)، أما الهولندية واليابانية فتبدأ جملها بالفاعل يليه المفعول به ثم الفعل، أي أنهما تنتميان إلى فئة **SOV** .

الجمل من حيث التركيب

يقسّـم علماء اللغة الجمل من حيث التركيب إلى جمل بسـيطة simple ومركبة compound ومعقدة complex ومركبة – معقدة complex–compound .

الجملة البسيطة

الجملة البســـيطة هي تلك التي لا تكون إحدى مكوناتها النحوية جملة فرعية clause لها وظيفة نحوية (فاعل، مفعول به، الخ) انظر الجمل في (19) أدناه:

(19) أ. ذهب علي إلى السوق.

ب. تدحرج الحجر.

جـ. أعطى علي سلمى كتاباً.

د. السيارة جديدة.

الجملة المركبة

الجملة المركبة هي التي تتكون من جملتين بسيطتين بينهما رابط coordinator مثل **و ، أو، لكن، ولكن**، كما في الجمل (20) أدناه:

(20) أ. علي معلم وسلمي مهندسة.

ب. درس خالد بجدّ ونجح في الامتحان.

جـ. قل قولاً جميلاً أو اصمت.

د. تعلموا السحر ولكن لا تعملوا به.

الجملة المعقدة

تتألف الجملة المعقدة من جملة رئيسة main clause وجملة فرعية أو مساندة subordinate clause لها وظيفة نحوية syntactic function ، كما في الجمل (21) أدناه.

(21) أ. اعلن علي **أنه سيلتحق ببرنامج الماجستير في اللغويات** (مفعول به)

ب. حدث **أن جاء محمد مبكراً** (فاعل)

جـ. أحترم سلمى **لأنها مجتهدة**. (ظرفية سببية)

د. سمعت شخصاً **يطرق الباب**. (فضلة المفعول به – صفة)

الجملة المركبة – المعقدة

تتألف الجملة المركبة – المعقدة من جملتين إحداهما على الأقل جملة معقدة، كما في الجمل (22) أدناه:

(22) أ. وقف الرجل **وأوضح أنه لن يساوم على حقه.** (بسيطة + معقدة)

ب. **أعرف أنك لن تتراجع عن رأيك** ولكني سأحاول. (معقدة + بسيطة)

جـ. **أظن أن عليّا متعاون ولكني لا أضمن أنه سيساعدك.** (معقدة + معقدة)

الجمل من حيث وظيفتها التواصلية

تؤدي الجملة وظيفة تواصلية، فقد نستخدمها للإخبار عن شيء أو للسؤال عنه، الخ. وفيما يلي نماذج لجمل تؤدي كل منها وظيفة تواصلية معينة.

(23) أ. جاء المدير. (خبرية)

ب. أتُحسن العزف على العود؟ (استفهامية)

جـ. ناولني قلماً من فضلك. (طلبيّة)

د. ما أجملَ السماء! (تعجبية)

وقد تتداخل الوظائف في الجملة الواحدة، كما في الجملة (23هـ) أدناه:

هـ. لا تأت إلى الصف متأخراً (أمرية – نهي)

المنحى التقليدي وتركيب الجملة

يرى النحاة التقليديون أن الجملة الخبرية البسيطة simple declarative sentence تتألف من مكونيّن أساسيين هما المسند predicate والمسند اليه subject، وهذان المكونان هما نواة الجملة. أما العناصر الأخرى كالظرف adverb والنعت adjective فاختيارية. وفيما يلي مثال توضيحي.

(24) ذهب الولد النشيط إلى المدرسة.

إن نواة هذه الجملة هي **ذهب الولد**، وذهب هي **المسند** والولد هو **المسند اليه**. أما العناصر الأخرى: **النشيط** (نعت) و**إلى المدرسة** (ظرف مكان) فيمكن حذفها.

وذكر أبو حيان في كتابه **شـــرح التســـهيل** (انظر حركات، 1998: 85) أن المسند في العربية هو **المحكوم به** وأن المسند اليه هو **المحكوم له**.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار الترتيب النظامي (المألوف) لمكونات الجملة في اللغة العربية الفصـحى، يكون **المسـند** في موقع خبر المبتدأ (في الجملة الاسـمية) أو في موقع الفعل التام (في الجملة الفعلية). أما **المســـند اليه** فيكون في موقع الفاعل أو نائب الفاعل أو في موقع المبتدأ. أما المفعول به فدأب اللغويون الغربيون على اعتباره جزءاً من المسند.

(25) ضرب زيدٌ خالداً.

المسند إليه في هذه الجملة هو **زيد** أما المسند فهو (ضرب + خالداً)، أي بمعنى أن ضرْب خالد قد أسند إلى زيد.

المنحى الوصفي وتركيب الجملة

اهتم فريق من النحاة الوصـفيين بتحليل التركيب النحوي structural analysis لبنية الجملة، فنظروا إلى ما يقوم بين مكوناتها من علاقات سـواء كانت طولية (أفقية) syntagmatic أم تعويضـية (عمودية) paradigmatic. وسـنحاول توضـيح هذه العلاقات في الجملة التالية:

(26) قرأ الطالب الدرس.

العلاقة الطولية

تبدأ الجملة (26) بالفعل **قرأ**، وإذا كنا لا نعرف بقية الجملة (الطالب الدرس) فإننا نتوقع عناصـر أو مكونات مماثلة من مثل (الولد الكتاب) أو (المعلم القصـيدة)، الخ. أي أن الفعل **قرأ** يتبعه اســم هو فاعله وقد يتبعه اســم آخر هو مفعوله. ولكن هاتين الخانتين لا يحل بهما إلاّ أسـماء معينة. ولا يقبل أحد أن نسـتبدل كلمة **الطالب** بكلمة **الحصـان** أو **الليمون** أو **الحائط** مع أنها أسـماء. فالكلمة التي تلي **قرأ** لابد أن تشـير إلى كائن عاقل يسـتطيع أن يسـتبدل الحروف بأصـواتها. أما كلمة **الدرس** فلها

صلة وثيقة بالفعل **قرأ**، وإذا استبدلناها بكلمة **الطاولة** مثلاً أصبحت الجملة غير مقبولة من حيث المعنى. إن العلاقة التي تربط بين مكونات الجملة التي تتجاور طولياً تسمى العلاقة الطولية أو الأفقية، وتسمى أحيانا الخطية.

العلاقة التعويضية

إذا طلب إليك أن تكمل الجمل التالية، فماذا تقترح؟

(27) ـــ الطالب الدرس.

بالتأكيد ســـتفكر في كلمات مثل **قرأ** و **كتب** و **حفظ** و **أحب** و**تذكر**، الخ. وهذه كلها أفعال، ولكنك لن تفكر في الفعل **كسّـر** أو **شـرب** لأن أيا منهما لا يرتبط بعلاقة دلالية مع بقية الجملة. وبمعنى آخر إن الكلمات **قرأ** و**كتب** و**حفظ** و**أحب** و**تذكر** ترتبط مع بعضـها البعض بعلاقة تعويضـية لأنها تنتمي إلى نفس المجموعة فجميعها **أفعال** تقبل أن تتبعها كلمة **الطالب**. أما إذا طلب اليك أكمال الجملة (28) فماذا تفعل؟

(28) قرأ ـ الدرس.

لا شـك أنك سـتفكر في كلمات أو أشـباه جمل مثل: **الولد، المعلم، الطلاب، التلميذ النشـيط، التلميذ النشـيط الذي أعرفه**، فكل واحد من هذه المكونات يرتبط بعلاقة تعويضـية مع الآخر ويمكن أن يحلّ محله، وجميعها مركبّات اسـمية. إن هذا النوع من النظر إلى مكونات الجملة يسـاعد في التعرف إلى المكونات التي تنتمي إلى نفس المجموعة، ويمكن أن يساعد في وصف بعض أوجه التركيب النحوي للجملة.

المنحى الوصفي وتحليل المكونات المباشرة

إن تحليل الجملة إلى مكوناتها المباشـرة immediate constituents هو أحد الأسـاليب التي اتبعها النحاة الوصـفيون لإظهار العلاقات التي تربط بين مكونات الجملة. فعلى سبيل المثال تتكون الجملة (29) أدناه من مكونين رئيسين (على مستوى

الكلمة) هما: **الطالب** و **نشـــيط**. أما الجملة (30) فتتألف من أربعة مكونات هي: **الطالب، النشيط، في، المكتبة**.

(29) الطالب نشيط.

(30) الطالب النشيط في المكتبة.

ويعمل نحو المكونات المباشـــرة على إظهار البنية التركيبية للجملة من خلال تقسيمها إلى مكوناتها الأساسية، ثم تقسيم كل مكون فيها (شبه جملة أو كلمة مثلاً) إلى مكوناته الأساسية، وقد يستخدم لذلك الرسومات الشجرية tree diagrams أو الأقواس brackets.

والآن لنعد إلى الجملة (30): **الطالب النشيط في المكتبة**. فهل من المناسب أن نقسم مكوناتها هكذا: **الطالب، النشـيط في، المكتبة**؟ بالتأكيد لا. فالعلاقات الطولية بين مكونات الجملة لا تؤيد تقسيماً كهذا. فالتقسيم الأكثر واقعية هو: **الطالب النشيط، في المكتبة**. فالمكون الأول شبه جملة اسمية تتألف من اسم وصفة، والمكون الثاني شبه جملة (جار ومجرور) تتألف من حرف جر واسم. ويمكن تمثيل الجملة هكذا:

الجملة (30)

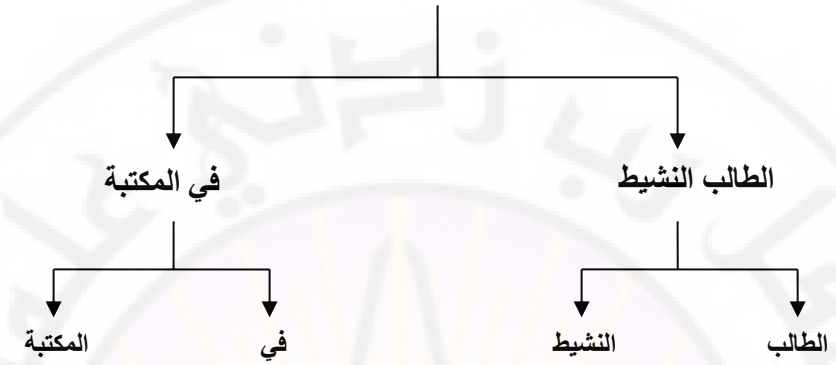

أو

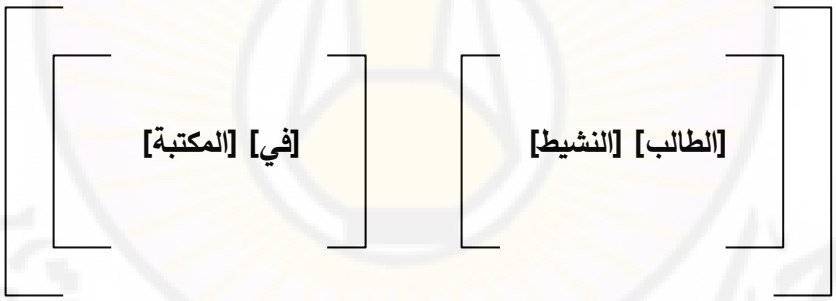

ويمكن الاستمرار في التحليل فنحلل **الطالب** إلى [ال] [طالب] و**النشيط** إلى [ال] [نشيط] و**المكتبة** إلى [ال] [مكتبة].

أما الجملة الفعلية (31) أدناه فتتألف من ســـت كلمات هي: **رأى، المعلم، الطالب، النشيط، في، المكتبة.**

(31) رأى المعلم الطالب النشيط في المكتبة.

ويمكن تقسيم هذه الجملة إلى المكونات التالية: **رأى، المعلم، الطالب النشيط في المكتبة.**

ويمكن تمثيل الجملة بالرسم الشجري التالي.

الجملة (31)

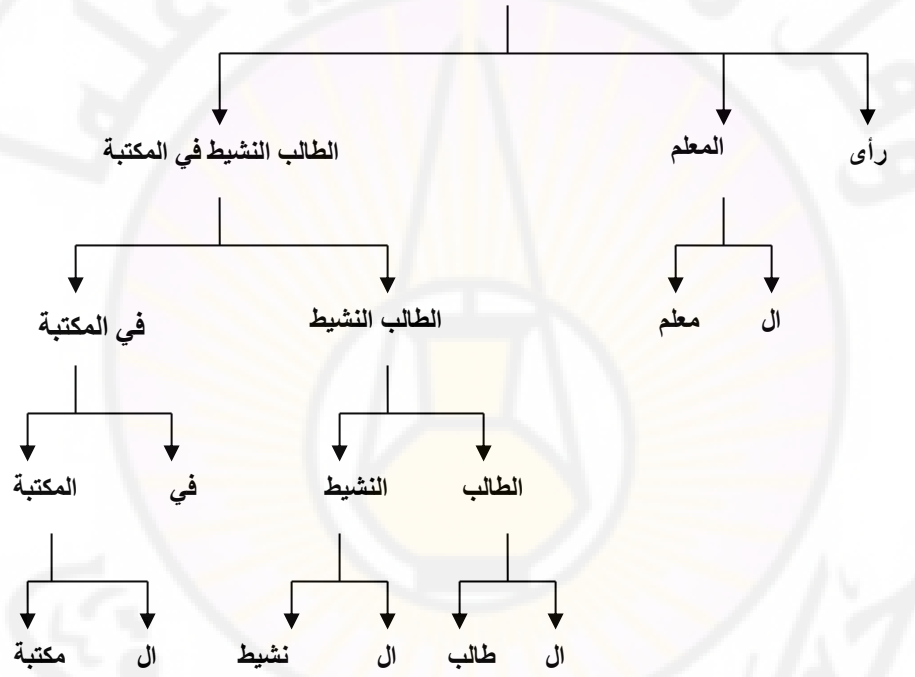

مثل هذا التحليل قد لا يبدو مقبولاً لدى بعض اللغويين المتأثرين بتحليل المكونات المباشـــرة للجملة الإنجليزية، حيث تبدأ الجملة فيها بالفاعل (the teacher المعلم)، وحيث يكون المفعول به والظرف جزءاً من شـــبه الجملة الفعلية التي تبدأ بالفعل (saw رأى). وقد دأب اللغويون على تقســـيم الجملة الإنجليزية إلى مكونين مباشرين أساسيين ثم تقسيم كل مكون فرعي إلى مكونين مباشرين، وهكذا. وإذا قمنا بترجمة الجملة العربية أعلاه إلى اللغة الإنجليزية نحصل على (32).

(32) The teacher saw the active student in the library.

وبتقسيمها إلى مكوناتها المباشرة نحصل على ما يلي:

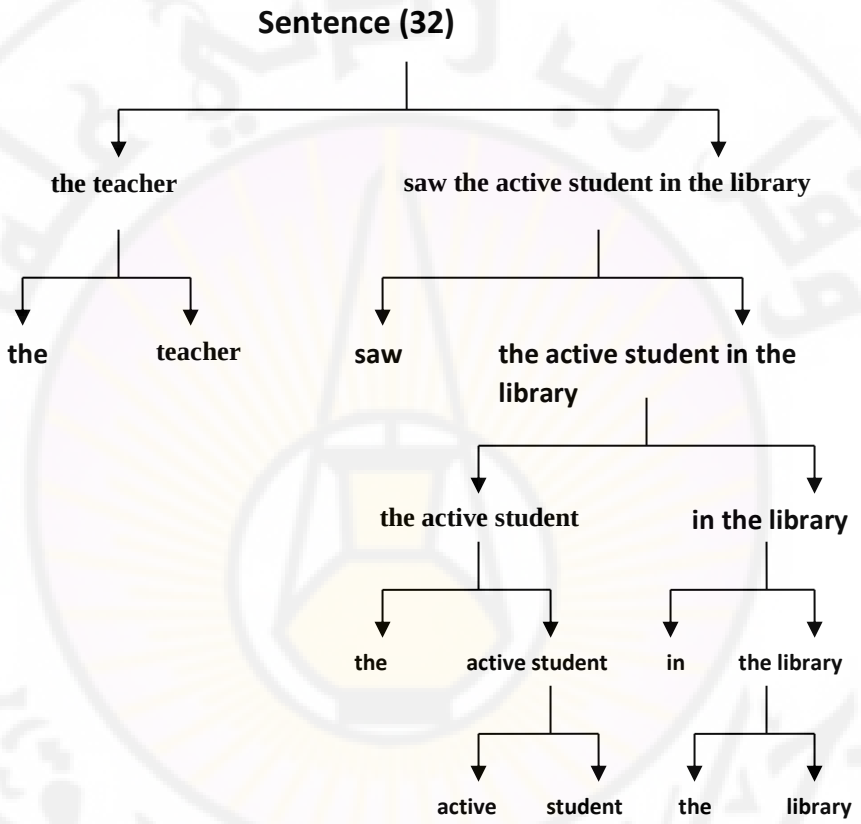

ان مثل هذا التقسيم إذا أجريناه على الجملة العربية لا يخلو من مشاكل، ذلك أن الفعل وتوابعه (المجاورة لبعضها البعض في اللغة الإنجليزية) ليست كذلك في العربية، وهذا يطرح مشكلة وجود مكوِّن منْقطع discontinuous constituent ليس من السهل تمثيله بواسطة الرسم الشجري أو الأقواس، إذ ستبدو الجملة (31) هكذا.

الجملة (31)

الجملة (31)

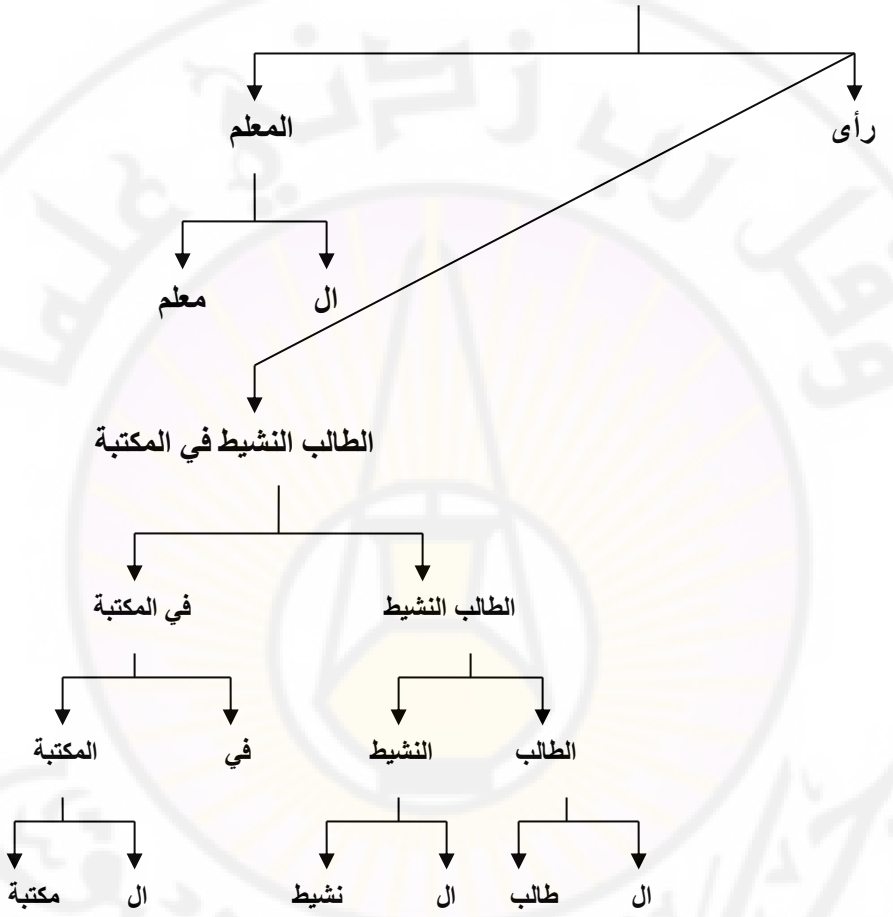

بالطبع، إن هذا التقسيم مقبول، ويصف تركيب الجملة على أساس أن المعلم هو المسند اليه وأن **رأى..... الطالب النشيط في المكتبة** هو المسند. ولكن جورج يول (Yule 1985: 77) يقول ان تحليل المكونات المباشرة لا يهدف إلى إظهار مقدرتنا على إنتاج الرسوم الشجرية او المخططات المعقدة للفوز بإعجاب أصدقائنا، إنما يهدف إلى التعبير بصورة واضحة من خلال الرسم عما نعتقد أنه يمثل تركيب الجمل

الســـليمة نحوياً، ومن ثم ننظر بعد ذلك إلى تركيب الجمل في اللغات الأخرى لنتبين أوجه التشابه والاختلاف.

فعلى سبيل المثال فان تركيب الجملة في اللغة الاسكتلندية Gaelic يشبه تركيب الجملة العربية، ففي اللغتين تبدأ الجملة بالفعل ثم الفاعل، كما أن الموصـوف يسـبق الصـــفة. ويرى جورج يول أن الجملة المؤلفة من فعل وفاعل ومفعول به في اللغة الاسكتلندية تتكون من ثلاث مكونات مباشرة هي الفعل، والفاعل، والمفعول به. ونرى أن نفس التحليل مناسب لبنية الجملة العربية التي لها نفس التركيب.

إن الإصـرار على تقسيم الجملة إلى مكونين مباشـرين فقط ينطوي على مشـاكل حتى بالنســـبة للغات التي تبدأ الجملة فيها بالفاعل ويكون فيها الفعل والمفعول به جارين لصيقين. فكيف نقسِّم الجملة (33)؟

(33) Did he study?

تشتمل هذه الجملة على فاعل هو **he** وعلى فعل يتألف من عنصرين هو **did study**. فهل نستخدم الرسم رقم (1) أدناه أم الرسم رقم (2)؟

(1)

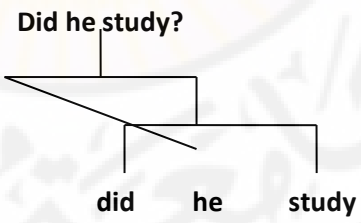

(2)

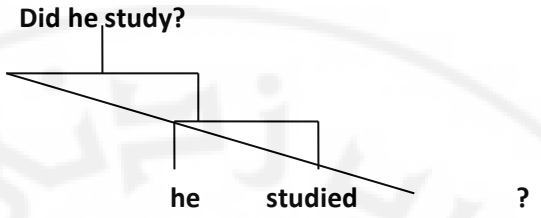

القواعد التحويلية التوليدية وتركيب الجملة

Generative - transformational grammar & sentence structure

منذ بداية الخمسينات من القرن العشرين وعلماء اللغة يحاولون وضع نظام من القواعد الواضحة التي تحدد العلاقات التي تربط بين مكونات الجمل السليمة نحوياً. ومن هذه المحاولات تلك التي قام بها عالم اللغة الأمريكي المشهور ناعوم تشومسكي Noam Chomsky صاحب نظرية القواعد التحويلية التوليدية، التي طرحها أول مرة في كتابه **التراكيب النحوية** Syntactic Structures الذي نشر عام 1957 ثم في كتاب **جوانب النظرية النحوية** Aspects of the Theory of Syntax الذي نشر عام 1965 ولا يزال تشومسكي مستمراً في السهر على نظريته التي تعرف أحدث تجليّاتها بنظرية **العامل والرابط** Government and Binding Theory.

والقواعد التحويلية التوليدية للغة ما قادرة على إنتاج جميع الجمل السليمة نحوياً في تلك اللغة، ولا تنتج جملاً تعوزها السلامة النحوية، وذلك باستخدام مجموعة محدودة من القواعد.

ومن هنا جاءت الصفة التوليدية لهذه القواعد. وهي تشبه قواعد الرياضيات حيث نســـتخدم عدداً محدوداً من القيم لإنتاج مجموعة لانهائية منها. فالرمز **س** يمكن أن يمثل قيمة معينة وكذلك الرمز **ص**. وهكذا فإن ناتج س + ص يتغير تبعاً لتغير قيمة كل منهما. فإذا كانت س=5 و ص =10 فإن 3س + 2ص =35، واذا كانت س= 4 و ص =5 فإن النتيجة تكون 22، وهكذا.

ومن سـمات هذه القواعد أن كل قاعدة يمكن أن تسـتخدم أكثر من مرة لوصـف مكونات الجملة الواحدة إذا لزم الأمر. وبمعنى آخر لهذه القواعد ســـمة هامة وهي التتالي recursiveness. انظر الجملة (34) أدناه.

(34) رأى المعلم الأسد **الذي هاجم الولد الذي تسلق السياج.**

الجملة
مركب اسمي (فاعل)
مركب فعلى
اسم
المعلم
فعل
مركب اسمي
(مفعول به)
رأى
مركب اسمي
جملة فرعية
اسم
الاسد
مركب اسمي
مركب فعلي
اسم
الاسد
فعل
مركب اسمي
هاجم
مركب اسمي
جملة فعلية
اسم
الولد
مركب اسمي
مركب فعلي
اسم
الولد
فعل
مركب اسمي
اسم
تسلق
السياج

يبين هذا الرسم أن القاعدة التي استخدمت لإنتاج الجملة الفرعية **الذي هاجم الولد** (مركب اسمي ← مركب اسمي + جملة فرعية) قد أعيد استخدامها لإنتاج الجملة الفرعية **الذي تسلق السياج** مثلاً. ولا يوجد من حيث المبدأ أي قيد على عدد المرات التي تستخدم فيها قاعدة ما. وكلما ازداد عدد مرات استخدام القاعدة ازداد طول الجملة. ولا تفوتنا الإشارة هنا إلى أن هذا الرسم الشجري يمثل البناء العميق للجملة، ولابد من تطبيق عدد من القواعد التحويلية عليه لاشتقاق البناء السطحي، أي الجملة (34) كما سنرى لاحقاً.

ولهذه القواعد سمة أخرى وهي قدرتها على تبيان الأساس المشترك للجمل المتشابهة في المعنى والمختلفة في البنية النحوية الظاهرة كما في (35أ) و (35ب) ادناه.

(35) أ. أعطى عليٌّ سلمى كتاباً.

ب. أعطى عليٌّ كتاباً لسلمى.

ومن وجهة نظر المدرسة التوليدية التحويلية فإن لكل جملة بنائين أحدهما يسمى البناء الظاهري surface structure ويشير إلى بنية الجملة كما نستخدمها أو ننطقها، والآخر يسمى البناء العميق deep structure ويشير إلى المعنى الأساسي للجملة. فالجملتان أعلاه تعبّران عن معنى واحد، أي أن لهما نفس البناء العميق ولكن كلاً منهما تمثل بناءً ظاهرياً مختلفاً. والبناء العميق موجود في الدماغ، ويرى تشومسكي أن القواعد التي تحكمه ذات صبغة عالمية. وبمعنى آخر فإن المعنى الذي تتضمنه جملة مثل **صاح عليٌّ** لا يختلف من لغة لأخرى. أما البنية النحوية الظاهرية لهذا المعنى فقد تختلف من لغة لأخرى. ففي اللغة العربية الفصحى غالباً ما يتقدم الفعل على الفاعل أما في اللغة الانجليزية فنقول Ali shouted حيث تبدأ الجملة بالفاعل ويليه الفعل. ويسمي تشومسكي القواعد التي تعمل على مستوى البناء العميق قواعد بناء الجملة phrase structure rules . أما القواعد التي تحوّل البناء العميق إلى

بناء ظاهري فتســـمى قواعد تحويلية transformational rules، وتختلف من لغة لأخرى. والآن سـنسـتعرض بعض الرموز اللازمة لفهم قواعد بناء الجملة، بالإضـافة إلى أمثلة من هذه القواعد.

الرموز وقواعد بناء الجملة

الجملة هي وحدة النحو الرئيســـة ورمزها (ج) بالعربية و(s) بالإنجليزية. ويرى تشومسكي أن الجملة تتألف في حدّها الأدنى من مركب اسمي (م أ) ومركب فعلي (م ف). والمركب الاسمي قد يكون اسما فقط (معرفاً أم غير معرف) أو ضميراً أو اسماً موصوفاً أو حتى جملة فرعية clause يمكن استبدالها باسم. والمركب الاسمي يسمى باللغة الإنجليزية noun phrase واختصـاره NP . أما المركب الفعلي فيتكون في حده الأدنى من الفعل وقد يشـــمل الفعل وتوابعه كالمفعول به والظرف adverb إن وجدا، ويسمى باللغة الإنجليزية verb phrase واختصاره VP. وفيما يلي بعض الرموز التي سنستخدمها لوصف قواعد بناء الجملة.

(36) ج: جملة — S : Sentence

م أ: مركب اسمي — NP : Noun Phrase

م ف: مركب فعلي — VP : Verb Phrase

أ: اسم مثل **كتاب** — N : Noun

ض: ضمير — Pron: Pronoun

ف: فعل مثل **ذهب** — V : Verb

ص: صفة مثل **نشيط** — Adj : Adjective

ظ: ظرف مثل **بسرعة** — Adv : Adverb

د: محدّد مثل **ال ، هذا** — Det : Determiner

ج ج: جار ومجرور مثل **إلى البستان** PP : Prepositional Phrase

ح: حرف جر مثل **إلى** P : Preposition

← : يتكون من → : Rewrite

( ): ما بداخل هذه الأقواس اختياري

{ } : كل سطر داخل هذه الأقواس مكوّن مستقل

وهذه أمثلة لبعض قواعد بناء الجملة كما رآها تشومسكي.

(37) أ) ج ← م أ م ف

ب) م أ ← { (د) أ / ض }

وهذا يعني أن م أ ← (د) أ أو ض

ج) ج ج ← ح م أ

ولقواعد بناء الجملة تركيب هرمي hierarchical structure . فلا نستطيع أن نبدأ مثلاً بالقاعدة رقم (37 ب) أو (37 جـ) أعلاه قبل القاعدة رقم (37 أ).

والآن لننظر إلى الجملة (38).

(38) الولد أكل التفاحة.

إذا أردنا تمثيل هذه الجملة باستخدام رسم شجري لقواعد بناء الجملة فإنها تبدو هكذا:

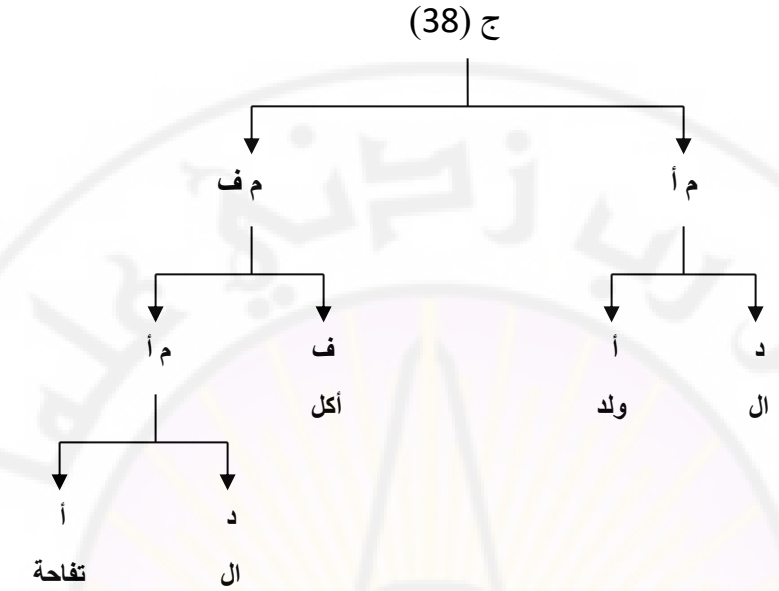

أما اذا بدأت الجملة بالفعل (أكل الولد التفاحة) فتكون مكوناتها كما يلي :

ج ← م ف م أ

ويكون الرسم الشجري للجملة السابقة هكذا:

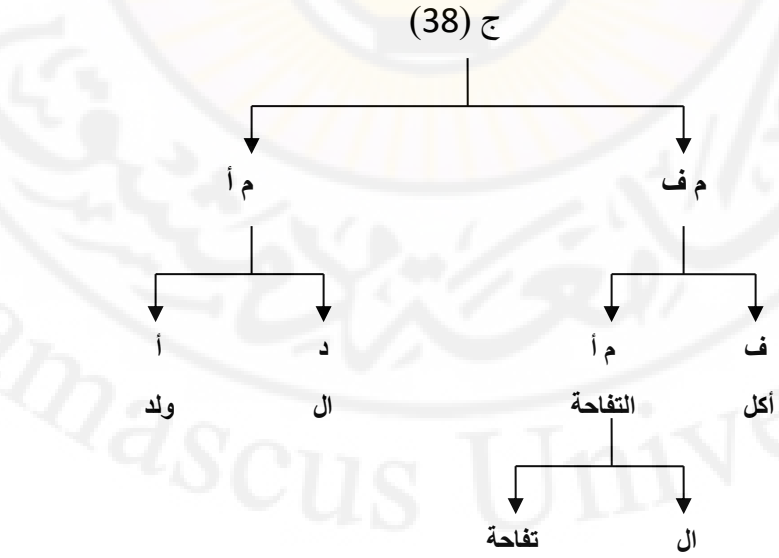

القواعد التحويلية Transformational rules

كما رأينا أعلاه، فإن قواعد بناء الجملة تولّد جملاً بترتيب ثابت للمكونات فإذا قبلنا أن:

ج ← م أ م ف

فان الجمل الناتجة ستكون من مثل: **الولد كتب الدرس.**

وإذا قبلنا أن:

ج ← م ف م أ

فان الجمل الناتجة ستكون من مثل: **كتب الدرسَ الولدُ.**

وفي كلا الحالتين نحن إزاء مشكلة فلا **الولد كتب الدرس** ولا **كتب الدرس الولد** تمثل النمط الشائع لترتيب كلمات الجملة التي تحتوي فعلا في اللغة العربية. وحتى ننتج جملة وفق النمط الشائع نحتاج إلى تحريك بعض المكونات. وهذا يتطلب مجموعة من القواعد التي تغير أو تحرك المكونات التي تنتجها قواعد بناء الجملة. وهذه القواعد تسمى القواعد التحويلية. والتغيير قد يشمل الابدال replacement والنقل movement والإدخال insertion والحذف deletion وغيرها. ولنأخذ مثالاً على ذلك.

الجملتان (35 أ) و(35 ب) أعلاه **أعطى علي سلمى كتاباً** و**أعطى علي كتابا لسلمى** لهما نفس المعنى (أي نفس التركيب العميق) ولكنهما مختلفتان في البناء السطحي (الظاهري). لنفترض أن البناء العميق هو:

ج ← م ف م أ

م ف ← ف م أ م أ

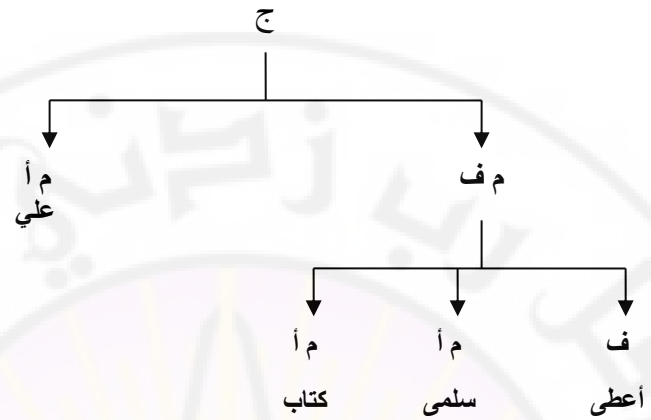

فإذا أردنا أن نشـــتق جملة **أعطى علي ســـلمي كتاباً** نحتاج إلى قاعدة تحويلية تحرك المكوِّن **علي** من مكانه وتضـــعه بين الفعل **أعطى** والمركب الاســـمي **ســـلمى**، وبالطبع نحتاج إلى مجموعة أخرى من القواعد التحويلية التي تعالج حركات الإعراب. وإذا أردنا أن نشـتق جملة **أعطى علي كتابا لسـلمى**، نحتاج إلى قاعدة تحويلية تحرك المكوِّن **سـلمى** من مكانه وتضـعه بعد المركب الاسـمي **كتاب**، كما نحتاج إلى قاعدة تحويلية أخرى تضـــع حرف الجر **لِ** أمام **ســـلمى**، وبالطبع نحتاج إلى مجموعة أخرى من القواعد التحويلية التي تعالج حركات الإعراب.

في هذا الفصل لم نتناول إلا جوانب محدودة من المسائل التي يتضمنها الوصف النحوي في اللغة، ولابد أن ننتقل إلى النظر في الدور الذي تلعبه الدلالة في بناء الجملة، وهذا هو موضوع الفصل القادم.

أسئلة وتمـــارين

1- ما هو النحو؟ وما هو التقليد الذي دأب اللغويون على اتباعه لإظهار أن جملة ما خاطئة نحوياً؟

2- هات ثلاثة أمثلة تبين من خلالها أن أي تغيير في المبنى لا بد وأن يســـتتبع تغييراً في المعنى.

3- ما هو المقصـــود بالضـــوابط النحوية؟ هات جملة لم يتقيد قائلها بالضـــوابط النحوية، وبين الخلل.

4- هات أربع جمل اثنتان منها تحتويان على غموض نحوي والأخرى تحتوي على غموض معجمي، بين الغموض في كل منها.

5- بين بعض جوانب النقد الموجه إلى النحاة التقليدين والتقريرين داعماً رأيك بأمثلة توضيحية.

6- أي الجملتين التاليتين اكثر صحة بالنسبة للنحوي الوصفي؟ لماذا؟

1. ما في دخّان من دون نار.

(من اللهجة الأردنية)

2. لا يوجد دخان دون نار.

(من العربية الفصحى)

7- هات مثالاً واحداً على كل نوع من أنواع الجمل التالية (لا تستخدم الأمثلة الواردة في الكتاب).

الجملة المركبة، الجملة المعقدة، الجملة المركبة – المعقدة.

8- اكتب جملة وبين المسند والمسند إليه فيها.

9- حلل الجملتين التاليتين إلى مكوناتهما المباشرة. استخدم الرسوم الشجرية.

جلس الطالب على الكرسي.

The intelligent student sat on the chair.

10- اذكر السمات الرئيسة لنظرية القواعد التحويلية التوليدية.

11- عرّف قواعد بناء الجملة والقواعد التحويلية واذكر مثالاً واحداً لكل منها.

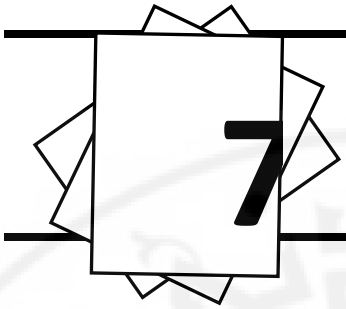

الفصل السابع
علم الدلالة
Semantics

انصب الاهتمام في هذا الكتاب حتى هذا الفصل على الشكل اللغوي كالأصوات وبناء المفردات وتركيب الجملة. ولكي تؤدي اللغة وظيفتها الأساسية في التواصل لابد لهذه الأشكال اللغوية أن تؤدي معنى معيناً، ولذلك يبحث هذا الفصل في علم الدلالة أو علم المعنى الذي يشكل مستوى أساسياً من مستويات الدرس اللغوي يبحث في معنى الكلمة والجملة. ولا تكتمل دراسة الوحدات اللغوية كالكلمة والجملة إلا بدراسة معاني هذه الوحدات ومدلولاتها لأن معرفة هذه المعاني تشكل أساس عملية التواصل اللغوي بين الناطقين بلغة ما سواء أكان هذا التواصل عن طريق الكتابة أو المخاطبة الشفوية. ولذلك فعلم المعنى هو أحد المكونات الأساسية لعلم اللغة كالنحو والصرف والنظام الصوتي. وإذا كنا نعّرف اللغة بأنها نظام للتواصل فلابد أن يكون المعنى جزءاً اساسياً من هذا النظام. فماذا نعني بمعرفتنا لمعنى الكلمة وما هو المعنى وما هي الموضوعات التي يدرسها علم الدلالة؟ ستكون هذه التساؤلات من بين أهم المواضيع التي سنناقشها في هذا الفصل.

ماذا نقصد بالكفاية اللغوية على المستوى الدلالي؟

تعني الكفاية اللغوية linguistic competence على المستوى الدلالي معرفة الأمور التالية:

1- المعنى الحرفي أو المعجمي وهو المعنى الأساسي للمفردة الذي يزودنا به المعجم. فكلمة **أسد** مثلاً تعني أحد الوحوش الضارية من الفصيلة السنورية والذي يعرف بملك الحيوانات.

2- المعنى المجازي للكلمة وهو استعمال الكلمة لتدل على معنى جديد غير المعنى الحرفي لها فعندما نقول أن **فلاناً أسد** فإننا نقصد انه شجاع ويقال في الإنجليزية: **He is in the evening of his life** أي في خريف العمر.

3- المعاني المختلفة للكلمة الواحدة

هناك كلمات كثيرة في اللغة تحتمل اكثر من معنى واحد، وتتحدد هذه المعاني بالسـياق الذي تسـتخدم فيه المفردة. فكلمة **عين** على سبيل المثال تعني العضو الذي يبصر به الإنسان، وتعني في سياق آخر العضو في مجلس الأعيان، وتعني أيضاً نبع الماء، وتطلق على الجاسوس في سياق آخر.

4- العلاقات بين المفردات كالترادف والتضـاد والاشـتمال وغيرها: قد يدل عدد من الألفاظ على شـيء واحد تقريبا نحو: **صـحراء وبيداء وفلاة** وهذا ما يسمى بالترادف. أما التضـاد فيعني أن مفردة تعني عكس ما تعنيه مفردة أخرى مثل **كبير وصـغير، حي وميت، باع واشـترى**. ويمكن التمثيل على الاشـتمال بكلمتي **فاكهة** و **تفاح**. وسنوضح هذه العلاقات بمزيد من التفصيل في موقع لاحق من هذا الفصل.

5- السياق الذي تستخدم فيه الكلمة

يختلف معنى الكلمة أحيانا باختلاف السـياق اللغوي الذي تسـتخدم فيه أنظر كيف تختلف معاني كلمة **قضى** في السياقات التالية:

قضى بين الخصمين	: حكم
قضى له	: حكم له
قضى عليه	: قتله
وقضى ربك...	: أمر
قضى الصلاة	: أداها بعد مضي وقتها
قضى الدين	: أداّه
قضى حاجته	: نالها وبلغها
قضى اجله	: بلغ الأجل الذي حدد له
قضى نحبه	: مات
قضى عمره في ...	: أفناه ...

6- السمات الدلالية للكلمة Semantic features

تتكون كل كلمة من مجموعة من الســـمات التي تحدد معناها وتميزها عن غيرها. فكلمة **مربع** مثلاً تشتمل على السمات الآتية: سطح مستوٍ، له أربع أضلاع متساوية وزواياه قائمة.

7- معنى الجملة.

8- العلاقات بين الجمل.

9- سمات الجمل

وسنوضح المقصود بمعنى الجملة والعلاقات بين الجمل وسماتها في موضع لاحق من هذا الفصل.

ما هو المعنى؟

ما زال تحديد مدلول كلمة معنى مثار جدل بين علماء اللغة والفلســـفة والمنطق. فكل كلمة في اللغة ترتبط بمعنى معين واحد أو اكثر، ولكن العلاقة بين الشـــكل اللغوي أو الكلمة المنطوقة ومدلولها في واقع الحياة علاقة توفيقية. وهذا يعني أنه ليست هناك علاقة مباشرة بين الأصوات المكونة لكلمة ما وما تدل عليه هذه الكلمة.

وهذا ما أشار اليه اللغوي السويسري فردناند دي سوسير (1916) عندما قسم الشكل اللغوي (الكلمة) إلى قسمين:

أ- الدال Signifier : مجموعة الأصوات والنبر المكونة لكلمة ما.

ب- المدلول Signified : وهو الشيء الذي تدل عليه الكلمة في واقع الحياة.

وأشار دي سوسير إلى أن العلاقة بين كلمة **حصان** مثلاً والمخلوق الذي تدل عليه علاقة توفيقية، أي أنه لا يوجد سـبب يعلل العلاقة بين ألفاظ الكلمات ومدلولاتها، فليسـت هناك بالضـرورة علاقة بين الصـورة الصوتية لكلمة **حصان** والحيوان الذي تدل عليه هذه الكلمة. فلو أطلقت كلمة أخرى على هذا الحيوان لوصلت الينا كما استخدمت أول مرة ولاصبحت الاسم الدارج له بدلاً من اسمه الحالي.

قام اللغويون بمحاولات كثيرة وطرحوا نظريات متعددة لتوضـــيح المقصـــود من مفهوم **المعنى** ومن النظريات التي طرحت في هذا الميدان ما يلي:

1- نظرية مساواة معنى الكلمة بمدلولها Denotational theory of meaning

تشير هذه النظرية إلى أن معنى الكلمة هو الشـيء الذي تدل عليه في واقع الحال، فعندما نقول **شـجرة** أو **مدرسة** أو **قلم** فإننا نعني بهذه الكلمات الأشياء التي تشير اليها هذه المفردات في حياتنا أي المدرسة التي نتعلم فيها والشجرة ذات الأغصان والأوراق والقلم الذي نكتب به.

وتبدو العلاقة بين الدال والمدلول واضحة في أسماء الأعلام. فالاسم **خالد بن الوليد** مثلاً يشير إلى ذلك الفرد المعروف في التاريخ الإسلامي، والاسم عيسى بن مريم يشير إلى رسول الله **عيسى بن مريم** الذي نعرفه بهذا الاسم، وما يصدق على الأسماء في هذا المجال يصدق على الأفعال. فالفعل مثلاً يشير إلى حدث أو حالة معينة والصفة تشير إلى صفة الشيء أو إحدى خصائصه والظرف يدل على كيفية حدوث الفعل أو يحدد زمن أو مكان وقوعه.

ولكن اذا أنعمنا النظر في هذه النظرية نجد أنها تعاني من قصور شديد يتمثل فيما يلي:

أ. إذا اعتقدنا بأن لكل كلمة معنى فإن ذلك يعني ان كل كلمة تدل على شيء معين في حياتنا أي أن لها مدلولاً فعلياً. ولكن اللغة تشتمل على مفردات كثيرة ذات معنى أو وظيفة ولكن ليس لها مدلول معروف محسوس في واقع الحال مثل: الغول والعنقاء، شديد، إن، إعلم، حرية، حب، غضب...

ب. اذا وجدنا ان كلمتين أو تعبيرين يشيران إلى شيء واحد في واقع الحال فإن ذلك يعني ان لهذين التعبيرين معنى واحداً. ولكن هذا الاستنتاج خاطئ ايضاً. فعلى سبيل المثال، التعابير الثلاثة التالية في اللغة الإنجليزية تشير إلى شيء واحد بالرغم من اختلافاتها الواضحة في المعنى (Akmajian et al. 1995: 219)

1. The evening star.
2. The morning star.
3. Venus.

تستخدم هذه التعابير الثلاثة للدلالة على كوكب الزهرة Venus ، ولكن التعبير الأول يعني لغة نجمة المساء ويعني التعبير الثاني نجمة الصباح، ويعني الثالث كوكب الزهرة.

وعندما نقول بالعربية **عمان** و**عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية** فإن هذين التعبيرين يشيران إلى المدينة نفسها ولكنهما يختلفان في المعنى الحرفي لكل منهما، أي انهما ليسا مترادفين. وكذلك الامر بالنسبة للتعابير **أمير الشعراء** و**احمد شوقي** من جهة و**عميد الادب العربي** و**طه حسين** من جهة اخرى.

جـ. تواجه هذه النظرية تحدياً أخر في جوهرها، فحتى الكلمات التي تشير إلى مدلول ملموس في الحياة لا تشير إلى مدلول أو شيء محدد معروف لدى جميع الناطقين بلغة ما. فعندما نسمع كلمة **مقعد** أو **شجرة** أو **منزل** أو **سيارة** فإننا ندرك معانيها ولكننا لا نعرف الشيء الحقيقي المحدد الذي تشير إليه كل كلمة. فكلمة **مقعد** قد تشير إلى الكرسي الذي يجلس عليه معلم المدرسة في الصف أو الكنبة التي يجلس عليها شخص واحد أو الكنبة التي يجلس عليها أكثر من شخص واحد أو الطاولة التي يجلس

عليها أكثر من طالب في الصف المدرسي أو المقعد الخشبي أو المعدني الموجود في المتنزهات وعلى جوانب الطرقات في مواقف الحافلات.

يتضح لنا مما سبق أن نظرية مساواة معنى الكلمة بمدلولها قاصرة عن تقديم تفسير دقيق وشامل لمفهوم **المعنى** في اللغة.

2- المعنى هو الصورة الذهنية Mental image

أن معنى الكلمة في هذه النظرية هو الصورة الذهنية للشيء الذي تشير إليه. وهذا يعني أن الصورة الذهنية لشيء واحد قد تختلف من إنسان إلى آخر ومن بيئة اقتصادية أو اجتماعية إلى أخرى. فالصورة الذهنية للجَمال مثلاً تختلف من شخص إلى آخر وقد تختلف من مجتمع إلى آخر. وعلاوة على ذلك هناك كلمات لها معنى، ولكن ليس لها صور ذهنية تقابل شيئاً ملموساً أو محسوساً مثل **إن، أو، فقط، هذا، يشعر، يعرف، يحب، حرية، كراهية، حقد** وغيرها من الكلمات المجردة. وهذا يعني أن مساواة المعنى بالصورة الذهنية لا تكفي دائماً لتحديد المقصود من المعنى.

3- المعنى هو استعمال المفردة في اللغة Contextual approach

يعتقد بعض اللغويين أن معنى الكلمة يتحدد بالسياق الذي تستخدم فيه، ولذلك يقول فيرث Firth أن المعنى لا يظهر إلا من خلال السياق الذي تستخدم فيه الكلمة أو الجملة. ولذلك فقد يكون للكلمة الواحدة أكثر من معنى تبعاً للسياقات المختلفة التي يمكن أن تستخدم فيها. ويشتمل السياق على عناصر كثيرة منها المتحدثون واللغة التي يستخدمونها (السلوك اللغوي) والسلوك غير اللغوي (ما يصدر عن المتكلم من إشارات أو تعابير وجه) والمكان والزمان الذي يدور فيه الحديث (أنظر بالمر Palmer 1981 ص 51-56).

ولكي ترى كيف يتغير معنى الكلمة بتغير السياق الذي تستخدم فيه أنظر إلى كلمة **جناح** في الأمثلة التالية:

- **جناح** العصفور مكسور.
- جاء أحمد على **جناح** السرعة.
- أقام الرئيس في **جناح** خاص في فندق كبير.
- ركب **جناحي** طائر (فارق وطنه)
- يوجد **جناح** خاص للعائلات.
- فلان مقصوص **الجناح** (ضعيف وعاجز)

- وفي القران الكريم چ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ چ(الاسراء، 24).

- و**الجناح** أحد لاعبي كرة القدم الأحد عشر.

- ويقول العرب "ركب فلان **جناحي** نعامة" (جدّ في الأمر واحتفل به).

وبالرغم من قدرة هذه النظرية على تفسير جزء كبير من المعنى إلا أنها لم تَنْجُ من النقد. فقد انتقد بالمر Palmer (1981: 54-56) منهج فيرث Firth السياقي بقوله أن فيرث لم يقدم نموذجاً أو نظرية شاملة لوصف اللغة بمكوناتها المختلفة ولكنه ركز على دور السياق في تحديد المعنى فقط. كما أن مفهوم السياق يبقى غير محدد تماماً ولا يمكن أن يستخدم لتحديد معاني كثير من الجمل في اللغة.

4- المعنى هو مجموعة من المكونات أو العناصر Componential analysis

يتكون معنى الكلمة وفق هذا المنظور من مجموعة من السمات التي تكون معنى الكلمة وتميزها عن غيرها من مفردات الحقل الدلالي الواحد. فمثلاً كلمة **رجل** تتكون من السمات + حي + انسان + راشد + مذكر، وكلمة **امرأة** تتكون من + حي + انسان، + راشد، - مذكر. ويمكننا ان نوضح الفرق في المعنى بين الكلمات **رجل، ولد، امرأة، بنت** في الجدول التالي:

	حي (غير جماد)	**إنسان**	**مذكر**	**راشد**
رجل	+	+	+	+
ولد	+	+	+	-
إمرأة	+	+	-	+
بنت	+	+	-	-

وفي ضوء ما سبق نستطيع القول أن الباحثين في ميدان علم الدلالة لم يتفقوا بعد على تعريف دقيق وشامل لكلمة "المعنى". وهذا لا يعني التوقف عن دراسة علم الدلالة وسبر أبعاده وأغواره، بل يجب أن يكون ذلك حافزاً على المزيد من البحث والاستقصاء للمجالات المختلفة لهذا الميدان الشائك.

ومن الصعوبات التي تواجه هذه النظرية مشكلة تحديد السمات (العناصر التكوينية) التي تميز كلمة عن أخرى وتحديد سمات المفردات التي تدل على معاني مجردة مثل **حقد، حب وحرية**. وهناك كلمات اخرى تستعمل في اللغة ولكن يصعب تحديد سماتها المميزة مثل **إن، كان، عن، في، حال** وغيرها.

وقبل أن ننهي الحديث عن المعنى ونظرياته قد يكون من المفيد أن نذكر أن بعض الباحثين في هذا الميدان قسم المعنى إلى ثلاثة أنواع. فقد وضح فينجان وبزنير Finegan & Besnier (1989 ص 173-176) هذه المعاني الثلاثة كما يلي:

1. **المعنى الدلالي Referential meaning**

يقصد بالمعنى الدلالي للكلمة الشيء ذاته او الشخص أو الفكرة المجردة أو الحدث أو الحالة التي تشير اليها الكلمة أو الجملة. فعندما نقول **مدينة جرش** مثلاً نعني تلك المدينة الأثرية التي تحمل هذا الاسم. وعندما نقول **يجلس علي تحت الشجرة** نعني أن شخصاً اسمه علي يجلس حالياً تحت ذلك الشيء الذي نطلق عليه اسم **شجرة**. فالمعنى الدلالي هو العلاقة بين الدال (الكلمة) والمدلول (الشيء الذي تشير اليه الكلمة في واقع الحياة).

2. **المعنى الاجتماعي Social meaning**

المعنى الاجتماعي هو مستوى المعنى الذي نستخدمه في تحديد بعض الخصائص الاجتماعية للمتكلم ونوعية العلاقة القائمة بين المتكلمين اعتماداً على نوعية اللغة التي يستعملها المتكلم في سياق معين. فكثيراً ما نصف شخصاً ما بأنه متعلم أو مثقف بمجرد استماعنا لحديثه ومستوى لغته والمفردات اللغوية التي يستخدمها. ويمكننا أيضاً تمييز الطبقة الاجتماعية أو الاقتصادية التي ينتمي إليها شخص ما من اللغة التي يستعملها والكلمات التي يختارها. فعلى سبيل المثال، إذا التقيت شخصاً وبدأ، أثناء تجاذب أطراف الحديث، يسألك اسئلة شخصية وخاصة جداً كأن يسألك عن راتبك وحالتك الاجتماعية وعن عدم زواجك اذا لم تكن قد تزوجت بعد أو عن وزنك أو عمرك وما إلى ذلك من التساؤلات فإنك تحكم على هذا الشخص بأنه فضولي وغير مثقف ولا يجيد ادب الحديث، وإذا سألت أحداً عن حاله فأجابك بلهجته العامية (داحلة، أو ماشية، أو على الجنط أو على الحديد) فإنك تعرف أنه قد يكون من فئة اجتماعية أو اقتصادية معينة.

3. **المعنى الوجداني (النفسي) Affective meaning**

هو ذلك الجانب أو المستوى من المعنى الذي يعبر عن شعور المتكلم أو اتجاهه أو رأيه نحو أمر ما في سياق معين. فعندما نقول أن **فلاناً جبان** أو **أنه يخاف** فإن المعنى في الحالتين يتضمن صفة الخوف أو الجبن، ولكن الجملة الأولى تحمل في طياتها درجة من الاحتقار والإهانة أشدّ مما يحتمله المعنى في الجملة الثانية. وعندما يسأل صاحب مصنع عن مستوى اداء أحد العاملين لديه ويقول أنه **شخص لطيف** فإنه يقصد بذلك أن سلوك ذلك العامل مقبول ولكن كفاءته في العمل غير مرضية. وهذا الجزء من المعنى الذي يدلنا على ما تتضمنه الكلمة أو الجملة من مشاعر أو اتجاهات أو اراء للمتكلم هو ما يسمى بالمعنى الوجداني أو النفسي.

الحقول الدلالية **Semantic fields**

قبل أن نتحدث عن العلاقات الدلالية بين المفردات يجدر بنا أن نوضــح بأن المفردات اللغوية تشــترك في بعض السـمات التي تمكننا من تصـنيفها إلى مجموعات أو فئات تسـمى الحقول الدلالية كما سـنرى في المجموعات التالية من المفردات:

1. جمل، حصان، بقرة، فرس، نعجة.
2. السبت، الأحد، الاثنين، الثلاثاء.
3. سكين، شوكة، ملعقة.
4. أسود، ابيض، احمر، اخضر.
5. رجل، حجر، شجرة، سيارة، قمر.

لو نظرنا إلى كلمات المجموعة (1) لوجدنا أن هناك صفة مشتركة تجمع بينها وتجعلها تنتمي إلى حقل دلالي واحد هو الحيوانات الأليفة وكلمات المجموعة (2) تنتمى إلى حقل دلالي آخر هو أيام الأسبوع وتنتمي مفردات المجموعة (3) إلى حقل الأدوات المنزلية وتنتمي مفردات المجموعة الرابعة إلى حقل الألوان. أما كلمات المجموعة الخامسة فلا توجد أي صفة مشتركة تربط بينها ولذلك فهي لا تنتمي إلى حقل دلالي واحد.

يفيدنا مفهوم الحقل الدلالي أحياناً في تعريف الكلمة أو تحديد جزء من معناها. فالجمل مثلاً حيوان اليف، والسكين إحدى الأدوات المنزلية والأخضر أحد الألوان.

ترتبط المفردات في الحقل الدلالي الواحد بعلاقات مختلفة كما سنرى فيما يلي:

العلاقات بين المفردات

1- الترادف **Synonymy**

يعرف كروز D.A. Cruse (1986: 267) الترادف بأنه علاقة بين المفردات بحيث تكون هذه المفردات متطابقة في سماتها الدلالية الأساسية ولكنها قد تختلف أحيانا في سماتها الثانوية.

يدل هذا التعريف على أن الترادف يعني التشابه أو التطابق في المعنى الأساسي بين كلمتين أو اكثر. كما يشـير التعريف ايضـاً إلى أن الترادف قد لا يعني التطابق التام في المعنى، وهذا ما يشـير إليه كثير من اللغويين (Kempson, 1977, O.Grady & Dobrovolsky 1987, Finegan & Besnier 1989) ويقول Finegan & Besnier (1985: 183) أن الترادف علاقة بين مفردتين أو اكثر حيث تكون الكلمة "أ" مرادفة للكلمة "ب" اذا كانت الكلمة "ب" تصف جميع مدلولات الكلمة "أ" وبالعكس.

إن التطابق التام بين جميع معاني المفردات المترادفة يكاد يكون نادراً في اللغات. وهذا ما تثبته الأمثلة الفعلية لما يسمى بالمترادفات. فعلى سبيل المثال نقول **ماء عذب وماء زلال** ونقول **عذب اللسان** ولكننا لا نستطيع القول **زلال اللسان**. فكلمة **عذب** مرادفة لكلمة **زلال** ولكن الترادف غير كامل ولو كان كذلك لأمكننا القول **زلال اللسان** كما نقول **عذب اللسان**. وكذلك بالنسبة للكلمتين **صواب، صحيح** اذ نستطيع القول **فقد فلان صوابه** ولكننا لا نقول **فقد فلان صحيحه** ونستطيع القول ايضاً **هذا هو عين الصواب** ولا نقول **هذا هو عين الصحيح**.

ويجدر بنا في هذا السياق أن نشير إلى موضوع الاقتران أو ما يسمى بالمصاحبة اللفظية Collocation فالكلمات المترادفة قد تبدو كذلك عندما ننظر اليها منفردة خارجة عن سياقها. ولكننا ندرك الفرق بينها عندما نستعملها في سياقات متنوعة مقترنة بألفاظ أخرى كما هو الحال في الأمثلة السابقة.

وما ينطبق على اللغة العربية في الترادف يصدق ايضاً على اللغة الإنجليزية. فلا نكاد نجد كلمتين مترادفتين ترادفاً تاماً في جميع المعاني والاستعمالات. فلو نظرنا على سبيل المثال إلى الكلمات **fast, rapid, quick** التي توردها معظم القواميس الإنجليزية كمترادفات لوجدنا أنها تتشابه في المعنى الأساسي ولكن لا يمكن استبدال واحدة بأخرى في جميع السياقات. فبينما نستطيع القول

متكلم سريع	a fast speaker
قطار سريع	a fast train
لون ثابت	a fast color
وجبة سريعة	a quick meal

لكننا لا نقول

* a rapid train
* a rapid color
* a quick color
* a rapid meal

تدل هذه الأمثلة على أن الترادف يكون في بعض معاني الكلمة ولا يكون في جميع معانيها واستعمالاتها. ولكن قد يكون الترادف كاملاً بين كلمات معينة في اللغة كما هو الحال في الأسماء المختلفة لبعض الأشياء أو الحيوانات مثل:

- أسد، ليث، ضرغام، هزبر
- سيف، حسام
- صحراء، بادية

يرى بعض الباحثين أن الترادف في هذه المفردات كلياً ولكن الكلمة الأولى في كل مجموعة من الأمثلة السابقة أكثر شيوعاً من مرادفاتها. ويرى المحدثون من الباحثين في اللغة أن الترادف الكامل غير موجود. فالمعجم الوسيط على سبيل المثال يعرف **السيف** بأنه نوع من الأسلحة، أما **الحسام** فهو السيف القاطع **والصحراء** هي أرض فضاء واسعة فقيرة الماء ولكن **البادية** فضاء واسع فيه المرعى والماء، ولذلك فالصحراء والبادية غير مترادفتين وكذلك بالنسبة لكلمة **أسد** الذي يعرفه المعجم الوسيط بأنه جنس من الفصيلة السنورية وهو من الوحوش الضارية، أما **الضرغام** فتعني الأسد الضاري الشديد كما تعني الشجاع. وهذا ما يذهب اليه اللغويون اليوم بأن احدى هذه المفردات هي الاسم الأساسي للشيء المقصود والأخريات صفات له.

2- التضاد Antonymy

التضاد علاقة بين كلمتين تنتميان إلى حقل دلالي واحد بحيث يكون معنى إحداهما ضد معنى الأخرى. ويختلف التضاد عن الترادف من حيث كون الترادف ممكناً بين أكثر من كلمتين مثل (مرتفع، عالٍ، شامخ...) ولكن التضاد يكون في الغالب بين كلمتين فقط نحو: مرتفع ومنخفض، حار وبارد. تكون المفردة "أ" ضد المفردة "ب" عندما تدل الكلمة "أ" على شيء معين لا يمكن أن تدل عليه الكلمة "ب" في الوقت نفسه وبالعكس. فمثلاً، لا يمكن أن يوصف شيء بأنه قريب وبعيد في الوقت نفسه بالنسبة لشخص معين، كما لا يمكن ان يكون الإنسان حياً وميتاً في آن واحد.

ومن الجدير بالذكر هنا أن التضاد لا يقتصر على الصفات فحسب بل يتعداها ليشمل الأسماء والأفعال والظروف نحو: جبل ووادي، يحب ويكره، يقترب ويبتعد، فوق وتحت.

3- التضاد العكسي Converseness

تمثل هذه العلاقة بين المفردات نوعاً آخر من أنواع التضاد حيث توجد علاقة حتمية متعاكسة الاتجاه بين الكلمتين مثل: زوج وزوجة، أب وابن، أم وابنة، يعطي ويأخذ، يبيع ويشتري، يعلّم ويتعلم، يقرض ويستعير. فإذا كان س هو زوج ص فلابد أن تكون ص زوجة س، وإذا كان هناك بائع فلابد من مشتر وإذا كان هناك شخص يعلم فلابد من وجود متعلم. وإذا كان س هو والد ص فلابد أن يكون ص هو ابن س.

4- الاشتمال Hyponymy

أنظر إلى الأمثلة التالية:

حيوان – حصان، بقرة، غزال

فاكهة – برتقال، موز، إجاص

ثياب – قميص، معطف، بنطلون

حشرة – ذبابة، نحلة، عنكبوت

لون – أسود، ابيض، اصفر

نلاحظ ان الكلمة الأولى في كل مجموعة تشـتمل على معاني المفردات التي تتبعها. فكلمات حصـان وبقرة وغزال أنواع من الحيوانات، أي أن الحصـان حيوان والبقرة حيوان وهكذا. وتسـمى الكلمة الأولى التي تمثل الفئة أو الصـنف بشـكل عام الكلمة المشـتَمِلة وتسـمى كل كلمة من الكلمات التي تعتبر انواعاً أو أمثلة للكلمة الأولى الكلمة المشـتَمَلة. وهذا يعني أن كلمة فاكهة تشـتمل على جميع انواع الفواكه كالبرتقال والموز والإجاص.

وقد يكون للكلمة المشـتملة أنواع فرعية أخرى كما هو الحال في الألوان، فاللون الأزرق قد يشـتمل على عدة درجات من اللون نفسه كما نرى في المثال التالي:

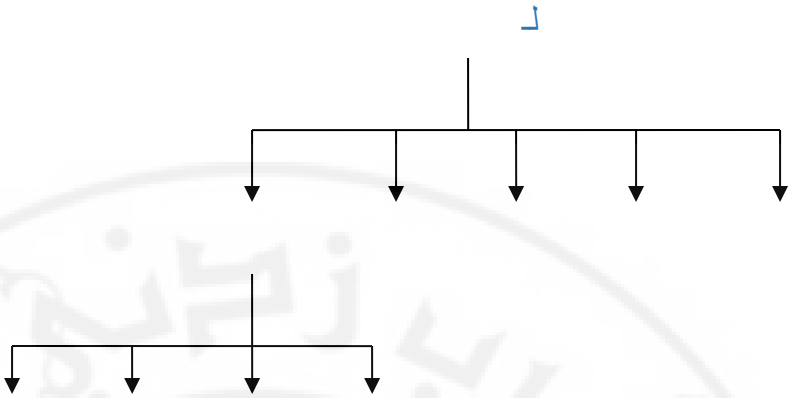

5- الجزئية Part - whole relationship

قد تتمثل العلاقة بين كلمة وأخرى في كون واحدة تشكل جزءاً من الأخرى. فكلمة انف تشكل جزءاً من كلمة وجه وكلمة إصبع تشكل جزءاً من كلمة يد وكلمة شاشة جزء من جهاز التلفزيون وهكذا.

6- الاشتراك اللفظي Homophony

هناك كلمات تشترك في اللفظ أو الكتابة ولكنها تختلف في المعنى مثل:

خالي : أخو الأم، فارغ

دقيق : طحين، صحيح

هوى : سقط، مَيْل

على : حرف جر

علا : ارتفع

مال : أموال، ينحني (ماضي الفعل يميل)

وتشـــتمل اللغة الإنجليزية على أمثلة كثيرة من المفردات التي تتطابق في اللفظ وتختلف في المعنى والكتابة مثل:

know (يـعـرف) و no (لا)، و right (صـــحـيـح، يـمـيـن) و write (يـكـتـب)، و night (ليل) و knight (فارس).

7- الاشتراك بين معاني الكلمة الواحدة Polysemy

يوجد في اللغة عدد من المفردات لها أكثر من معنى واحد، وقد تكون هناك علاقة مشـــتركة بين هذه المعاني مثل كلمة **جذر**: جذر العدد، جذر السـن، جذر الشـجرة، جذر المشـكلة،... فجذر الشـيء هو الجزء المخفي منه. وكذلك كلمة عين: عين الإنسـان، العين (الجاسـوس). وتظهر هذه المعاني تحت نفس المدخلة (entry) في المعجم.

وقد لا تكون هناك علاقة مشـتركة بين معاني الكلمة الواحدة مثل كلمة bank التي تعني مصـرف او ضـفة النهر، وهذا ما يعرف في اللغة الإنجليزية بـــ Homonymy وتظهر هذه المعاني للكلمة كمدخلتين مستقلتين.

معنى الجملة

تعّرف الجملة تقليدياً بأنها مجموعة من الكلمات ذات معنى مفيد، فعندما نقول: **علي طيار ماهر**، فإن هذه الجملة تعني مجموع ما تعنيه المفردات التي تتكون منها، ويمكن لهذه الجملة أن تحتمل الصـدق أو عدمه. ولكن الجملة **النار محرقة** تختلف عن المثال السـابق من حيث أنها تتطابق مع واقع الحال وتتصـف بالصدق فقط. فالجمل من حيث المعنى تنقسم إلى قسمين:

1. الجملة التحليلية Analytic sentence

الجملة التحليلية هي الجملة التي تكون صادقة دائماً ولا تحتمل عدم الصدق بحكم معاني مفرداتها مثل:

- الاعزب رجل غير متزوج.
- الضرير شخص لا يرى.
- الابكم شخص لا يتكلم.

2. الجملة التركيبية Synthetic sentence

هي الجملة التي لا تعتمد على معاني مفرداتها لتحديد صدقها أو عدمه بل تستمد صدقها من مطابقتها أو عدم مطابقتها لواقع الحال مثل:

- رأيت شجرة يزيد طولها على خمسين متراً.
- اللغويات مادة ممتعة.
- يبلغ حسان 70 سنة من العمر.

يمكن أن نصف هذه الجمل بالصدق أو عدمه بناء على مطابقتها للواقع أو عدم مطابقتها.

وفي كثير من الأحيان فان معنى الجملة لا يســـاوي مجموع معاني مفرداتها كما هو الحال في اللغة المجازية وفي الأمثال وبعض الأقوال الشائعة مثل:

1- خالد أسد.

2- نقّت ضفادع بطني.

3- أولادنا أكبادنا تمشي على الأرض.

4- المعلم شمعة تحترق.

فعلى سبيل المثال فالجملة رقم (1) تعني أن خالداً شجاع وتعني الجملة الثانية أن المتكلم جائع. وهكذا فان المعنى الحرفي غير مقصود في هذه الجمل.

العلاقات بين الجمل

1. **التشابه في المعنى Paraphrase**

مثل:

فتح علي الباب – فُتِح الباب

2. **الاستلزام Entailment**

قد تكون جملة ما نتيجة منطقية لجملة اخرى مثل:

قتل خالد الأسد ← الأسد ميت

فإذا كانت الجملة الأولى صادقة فمن الضروري أن تكون الجملة الثانية صادقة أيضا، أي أن صدق الجملة الأولى يستلزم صدق الثانية. أما إذا كانت الجملة الأولى غير صادقة فقد تحتمل الجملة الثانية الصدق أو عدمه. أي أن عدم صدق الأولى لا يستلزم صدق الثانية، فإذا كانت جملة **قتل خالد الاسد** غير صادقة فليس بالضرورة أن يكون الأسد حياً.

3. **الاقتضاء Presupposition**

تأمل العلاقة بين الجمل التالية:

1- توقف زهير عن نظم الشعر ← كان زهير ينظم الشعر.

2- لم يتوقف زهير عن نظم الشعر ← كان زهير ينظم الشعر.

إن معنى الجملة الأولى في المثال الأول يقتضي أن زهيرا كان ينظم الشعر وكذلك بالنسبة للجملة الثانية في المثال الثاني. نلاحظ هنا أن الاقتضاء ثابت لا يتغير في حالتي الإثبات أو النفي.

4. التناقض Contradiction

يعني التناقض وجود جملة متضــادة مع جملة أخرى وهذه العلاقة تشــبه علاقة التضــاد على مســتوى المفردات.

أمثلة: 1- خالد متزوج - خالد اعزب

2- النار حارة - النار باردة

جامعة دمشق Damascus University

أسئلة وتمـارين

1- ما الفرق بين الدال والمدلول؟

2- لماذا يسمى علم الدلالة علم المعنى وليس علم المعاني؟

(كتب البلاغة تفيدك في الإجابة عن هذا السؤال).

3- ما النقد الموجه لكل من نظرية الصورة الذهنية ونظرية السمات (المكونات) الدلالية؟

4- ما هي العلاقة بين المفردات في كل مجموعة من المجموعات التالية:

أ. قمح، بر، حنطة

ب. حار ، بارد

جـ. كرسي، كنبة، طاولة

د. ملعقة، سكين، شوكة، اداة

هـ. إصبع، يد

و. يحيا ، يحيى

5- ما الفرق بين الجملة التركيبية والجملة التحليلية؟

6- ما هي العلاقة بين الجمل التالية:

1. ترك أحمد التدخين – كان أحمد يدخن
2. علي زوج سلمى – سلمى زوجة علي
3. سار القطار ببطء – ببطء سار القطار

7- اختلف اللغويون العرب القدامى في ظاهرة الترادف، فمنهم من أثبتها ومنهم من أنكرها. ما هي الأدلة التي أوردها كل فريق لإثبات رأيه؟

(استعن بالمراجع المناسبة في علم الدلالة أو علم المعنى).

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

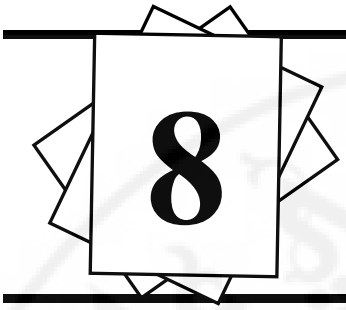

الفصـل الثامن
تحليل الخطاب واستخدام اللغة
Discourse Analysis and Pragmatics

اقتصـر موضـوع هذا الكتاب حتى الآن على دراسـة جوانب محددة من الظاهرة اللغوية كالنظام الصـوتي والصـرفي والنحوي والدلالي. ومع أن دراسـة أو إتقان هذه الجوانب اللغوية تشكل الأساس في تعلم اللغة أو اكتسابها إلا أنه لا بد لنا من المضـي قدماً في هذا المجال حتى نصل إلى مستوى أعلى هو مستوى النص سواء أكان مكتوباً أو محكياً، نسـتخدم فيه معرفتنا بأصـوات اللغة والقواعد التي تنظمها ومعرفتنا بالمفردات اللغوية وكيفية تركيبها واشـتقاقها ومعانيها والقواعد التي تحكم انتظام هذه المفردات معاً في الجملة.

ظل البحث اللغوي مقصـوراً على دراسـة الجملة وتركيبها الصـوتي والصـرفي والنحوي والدلالي إلى منتصـف السـبعينات من القرن العشـرين. ويعزى ذلك لأسـباب أهمها غياب النظرية اللغوية التي تتجاوز البحث في إطار الجملة وتضع اسساً للتعامل مع النصوص المكتوبة أو المحكية. هذا علاوة على أن البحث في مكونات الجملة على المسـتويات المختلفة، التي يمكن تحديدها وتحليلها أمر أيسـر من دراسـة وتحليل العلاقات بين الجمل أو التفوهات التي تستخدم في عملية التواصل.

وبعد ظهور نظرية القواعد التوليدية التحويلية التي أرسـى قواعدها ناعوم تشـومسـكي في كتابه التراكيب النحوية **Syntactic Structures** عام 1957 ظهرت نظريات أخرى بدأت تطالب بتوسـيع نطاق البحث اللغوي ليتجاوز حدود الجملة إلى النص، وكان لهذه الصرخات مسوغات كثيرة نذكر منها ما يلي:

1- ان الكفاية اللغوية للناطقين بلغة ما لا تقتصر على إصدار أحكام على الجمل من حيث كونها منسجمة وقواعد النحو والصرف أم غير منسجمة فحسب، بل تشتمل هذه الكفاية ايضـاً على قدرة أصـحاب اللغة على تقييم نص قد يتكون من جملة واحدة أو فقرة أو صفحة أو اكثر من ذلك. إذ يستطيع القارئ لنص ما او المستمع لحديث ما أن يقول بأن هذا النص يشـكل وحدة مترابطة من حيث اللغة والموضـوع أو أنه مجرد جمل غير مترابطة تفتقر إلى التماسـك اللغوي والموضوعي.

2- هناك بعض الظواهر اللغوية التي لا يمكن دراستها إلا بدراسة العلاقة بين الجمل التي تشكل النص مثل ظاهرة الإحالة reference وظاهرة الوحدة الموضوعية للنص coherence والتماسك اللغوي للنص cohesion والعلاقات المنطقية بين الجمل مثل الاقتضاء presupposition والاستلزام entailment وغيرها. وهذا يقودنا إلى التحدث عن اللغة في سياقها pragmatics وعن كيفية استخدام الجمل المقبولة نحوياً ودلالياً في سياق معقول. فالجملة بحد ذاتها وخارج سياقها قد تكون جملة مقبولة ومنسجمة مع قواعد اللغة إلا أنها قد تصبح غير مقبولة إذا ما استخدمت في السياق غير المناسب. فمثلاً عندما يقول شخص عبارة **عظم الله أجركم** نجدها مقبولة إذا استعملت للتعزية أو للمواساة بفقيد، ولكنها تصبح غير مقبولة إذا استعملت للتهنئة. فالذي جعل هذه العبارة غير مقبولة في الحالة الأخيرة هو استعمالها في السياق الخطأ غير المقبول اجتماعياً.

3- إن عملية التواصل اللغوي لا تتم عادة باستعمال مفردات أو جمل منفصلة بل بالربط بين جمل أو تفوهات أو أشباه جمل متعددة. وهذا واضح في سلوكنا اليومي، فنحن نقرأ خبراً في صحيفة أو نشاهد مسرحية أو نقرأ قصة قصيرة أو فصلاً من رواية كبيرة أو نقرأ سورة من القرآن الكريم قصيرة كانت أم طويلة. وجميع هذه التجليات اللغوية تتكون في الغالب من جمل عديدة مرتبطة مع بعضها بعضاً بشكل متماسك ومترابط يؤدي لإيصال رسالة معينة.

كانت هذه العوامل وغيرها مسوغات معقولة للانتقال بالدرس اللغوي من كونه مقتصراً على الجملة Sentence - based Grammar إلى نطاق أوسع وأكثر شمولية هو مستوى الخطاب: المحكي والمكتوب Text Linguistics أو Discourse Analysis .

تحليل الخطاب **Discourse Analysis**

سنستخدم في هذا الفصل تعبير **تحليل الخطاب** ليدل على تحليل النصوص المكتوبة والمحكية على حد سواء، وهذا ما ينحو نحوه الدارسون والباحثون في هذا المجال مثل Michael McCarthy في كتابه **تحليل الخطاب ومعلمو اللغة** Discourse Analysis For Language Teachers، 1991 و Guy Cook في كتابه **تحليل الخطاب** Discourse المنشور عام 1989 و Evelyn Hatch في كتابها **تحليل الخطاب ودراسة اللغة** Discourse and Language Education عام 1992 و Michael Stubbs في كتابه **تحليل الخطاب** Discourse Analysis المنشور عام 1983. وتحليل الخطاب هو أحد مستويات الدرس اللغوي الذي يحاول تحليل الظاهرة اللغوية على مستوى يتجاوز مستوى الجملة أو التفوه ليشتمل على النص المكتوب مهما بلغ طوله واختلفت أنواعه، وعلى التخاطب الشفوي بين الناس بأشكاله المختلفة

كالمكالمة الهاتفية، وحديث أفراد الأسرة مع بعضهم بعضاً عندما يجتمعون معاً على وجبة غداء أو عشاء والحديث الذي يدور بين اثنين التقيا بعد فترة من الغياب والحديث بين الغرباء إلى غير ذلك من التفاعلات اللفظية التي تحدث بين البشر.

تعرف Hatch (1992 :1) تحليل الخطاب بأنه دراسة لغة التواصل سواء أكانت محكية أم مكتوبة. أما Stubbs (1983 :1) فيعرف تحليل الخطاب بأنه التحليل اللغوي للخطاب سواء أكان محكياً أم مكتوباً ويهدف إلى دراسة البنية اللغوية على مستوى يتعدى مستوى الجملة إلى مستويات اكبر مثل الحوار أو النص مهما كان حجمه، ويهتم هذا الميدان أيضاً بدراسة اللغة في سياقها. وهذا ما أكد عليه McCarthy (1991: 5) عندما قال إن تحليل الخطاب هو دراسة العلاقة بين اللغة والسياق الذي تستخدم فيه. ويذكرنا هذا التعريف بمنحى آخر للدرس اللغوي وهو استخدام اللغة في السياقات المختلفة Pragmatics. يعرف Levinson (1983: 5-35) هذا الميدان بأنه دراسة استخدام اللغة أو دراسة اللغة من منظور وظيفي، أي دراسة التركيب اللغوي بالإشارة إلى عوامل غير لغوية كالنص والمتكلم الذي يستخدم اللغة والسياق الذي تستخدم فيه.

يتضح مما سبق أن العلاقة وثيقة بين تحليل الخطاب واستخدام اللغة. ولن نحاول في هذا الفصل أن نفصل بين الموضوعين ولكي نفهم موضوع تحليل الخطاب واستخدام اللغة بمزيد من العمق لابد لنا من التعرف على الجوانب اللغوية التي يتناولها الميدان ومن أهمها:

التماسك اللغوي cohesion والوحدة الموضوعية للنص coherence والفعل الكلامي speech act ومبادئ التواصل الشفوي كمبدأ التعاون بين المتحدثين cooperative principle ومفهوم الأدب في الحديث politeness concept وأنواع الاستلزامات المنطقية من الجمل كالاقتضاء presupposition والاستلزام entailment والعلاقات بين الجمل واستراتيجيات بدء الحديث talk initiation وإنهاء الحديث مع الآخرين talk termination وأخذ الأدوار turn taking وغير ذلك من الظواهر. وسنوضح فيما يلي أهم هذه المواضيع.

التماسك اللغوي **Cohesion**

لا تقتصـر الكفاية اللغوية للناطق بلغة ما على تمييز ما هو مقبول أو غير مقبول من الكلمات أو الجمل أو أشباه الجمل، بل تتعدى هذه القدرة هذا المستوى لتشمل قدرته على تمييز ما هو مقبول أو غير مقبول من النصـوص المكتوبة أو المحكية. وهذا يعني أن هناك مواصـــفات أو قواعد لبناء النص ينبغي مراعاتها أو توافرها في النص كي نعتبره مقبولاً وإلا كان النص غير مقبول. ومن أهم هذه المعايير التماسك اللغوي الذي يعني ترابط الجمل في النص مع بعضها بعضاً بوسائل لغوية معينة نوجزها فيما يلي:

1- الإحالة **Reference**

وهي استخدام الضمير ليعود على اسم سابق أو لاحق له بدلاً من تكرار الاسم نفسه، فإذا قرانا النص القصير التالي:

(1) تأســسـت الجامعة الأردنية عام 1962 (2) وتخرج منها آلاف الطلبة (3) يعمل معظمهم في مجال التعليم في الأردن والخارج (4) ويعتبر هؤلاء الخريجون مصدر ثروة كبيرة للأردن.

فإننا نجد أن ضمير **الهاء** المتصل في كلمة **منها** يعود إلى **الجامعة الأردنية** في الجملة الاولى، والضـــمير **هم** في كلمة **معظمهم** في الجملة (3) يعود إلى **الطلبة** في الجملة (2) ولذلك تعمل هذه الضـــمائر وأمثالها على إيجاد رابطة بين الجملة التي تشتمل على الضمير والجملة السابقة التي تشتمل على الاسم الذي يشير إليه الضمير.

نلاحظ في المثال السابق أن الضمير في اللغة العربية يعود إلى اسم سابق له وليس إلى اسم يتبعه. ولكننا بدأنا نلحظ استخدام الضمير ليعود إلى اسم لاحق كما في بعض الكتابات الصحفية والأخبار كما في:

وفي مؤتمره الصحفي أشار وزير العمل إلى ضرورة ضبط العمالة الوافدة.

وربما يشير هذا الاستخدام إلى أثر حركة الترجمة على الاستخدام اللغوي.

أما في اللغة الإنجليزية فيجوز أن يشير الضمير إلى اسم سابق أو لاحق له كما في:

1. I met an **old friend** of mine while **he** was shopping.
2. In **his** address to the public, the president said that he would resign very soon .

الضمير he في المثال (1) يعود إلى اسم سابق له هو friend أما الضمير his في الجملة (2) فيشير إلى اسم لاحق له هو the president .

2- الربط **Conjoining**

إن استخدام أدوات الربط كحروف العطف مثلاً من الوسائل الشائعة جداً لإيجاد علاقات بين الجمل في النص فعندما نقرأ نصـــاً عربياً نلاحظ أن معظم

الجمل أو الفقرات مرتبطة بسابقتها بحرف الواو أو بحرف آخر. وتشتمل أدوات الربط على حروف **كالواو** و**ثم** و**الفاء** و**لكن**. وهناك كلمات وعبارات أخرى تبدأ بها الجمل أو الفقرات وتدل على وجود علاقة معينة بين الجمل التي تتقدمها هذه العبارات والجمل السابقة لها. ومن الأمثلة على هذه الكلمات: مثلاً، **على سبيل المثال وفي الختام، وأخيراً، وعلى العكس من ذلك ومما سبق....**

3- الإبدال Substitution

يعني الإبدال استخدام كلمة بدلاً من كلمة أو عبارة سابقة وذلك لتجنب إعادتها. تأمل المثال التالي:

أ. هل تحب السباحة والرماية وركوب الخيل؟

ب. نعم. أحب ذلك.

لقد استخدم المتكلم كلمة **ذلك** في المثال **ب** ليتجنب إعادة أو تكرير ما سئل عنه في الجملة أ وهو **السباحة والرماية وركوب الخيل**.

4- الحذف Ellipsis

يلجأ الكاتب أو المتحدث إلى حذف جزء من الكلام يمكن فهمه وتقديره من السياق دون أن يسبب خللاً نحوياً أو دلالياً في الجملة، وفي اللغة العربية كثيراً ما يكون الفاعل ضميراً مستتراً يمكن تقديره من السياق. كما في الأمثلة التالية:

أ. رجع خالد من المدرسة وتناول غذاءه مسرعاً ثم عاد إلى المدرسة مرة أخرى.

إن فاعل **تناول** و**عاد** ضمير مستتر تقديره **هو** يعود على **خالد**.

إن حذف الفاعل في هذا المثال يوجد علاقة بين أجزاء الجملة المركبة، كما أن الحذف يجعل الجملة أكثر قبولاً لدى السامع أو القارئ.

ب. - ما أسمك؟

- أحمد.

عندما سئل احمد عن اسمه ذكر اسمه فقط، ولم يقل **اسمي أحمد** لأن الكلمة المحذوفة مفهومة ويمكن تقديرها من السياق ولا تؤثر على تركيب الجملة أو معناها.

5- الترادف والتكرار Synonymy and repetition

تندرج هذه الوسيلة لإيجاد التماسك اللغوي في النصوص تحت موضوع استخدام المفردات لإيجاد علاقات بين الجمل lexical cohesion. ونعني بالترادف هنا استعمال كلمة أو عبارة مرادفة لعبارة أخرى سابقة لها لتجنب إعادة الأولى لأن الإعادة قد تكون سمة غير مرغوبة في الكتابة. فإذا كنا نتحدث أو نكتب عن الجامعة الأردنية مثلاً قد نكتب ما يلي:

الجامعة الأردنية ..... وهذه المؤسسة التربوية .....

إن هذه المؤسسة التعليمية ..... ولكن هذا الصرح العلمي.....

إن استخدام مرادف لعبارة **الجامعة الأردنية** كالعبارات التي استخدمت في المثال قد يلاقي استحساناً أكثر لدى القارئ مما لو أعدنا العبارة نفسها أربع مرات:

الجامعة الأردنية ..... والجامعة الأردنية .....

إن الجامعة الأردنية ..... ولكن الجامعة الأردنية.....

فالترادف وسيلة لربط الجمل مع بعضها بعضاً دون الحاجة إلى إعادة الكلمة أو العبارة المقصودة عدة مرات.

ولكن هذا لا يمنع أحيانا من استخدام العبارة نفسها في ثنايا النص حتى نذكر القارئ بأننا ما زلنا نتحدث عن الشيء نفسه، وهذا النوع من التكرير مقبول ولا يؤدي إلى ضعف أسلوبي في الكتابة.

ومن الأمثلة على هذه الظاهر تكرار آية **فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** إحدى وثلاثين مرة في سورة الرحمن التي يبلغ عدد آياتها 78 آية.

6- التراكيب المتوازية Parallelism

يقصد بهذا الأسلوب تكرير وحدات لغوية من الفئة النحوية نفسها (شبه جملة تتكون من مضاف ومضاف اليه أو جار ومجرور مثلاً) أكثر من مرة في جملة واحدة كما نرى في الجملة التالية:

لقد خدم ذلك العالم البشرية **باختراعاته** و**اكتشافاته** و**كتاباته** و**بحوثه** في مجال الكهرباء.

وقد تتمثل التراكيب المتوازية في جمل متتابعة في النص، ولكن ليس بالضرورة في الفقرة نفسها بحيث يكون لهذه التراكيب الشكل ذاته ولكن باختلاف المحتوى في كل جملة. تأمل الجمل التالية:

إن الصبر من الأيمان.

إن الصبر مفتاح الفرج.

إن الصبر جميل.

تتكون كل جملة من هذه الجمل من حرف النصب **إن** واسمها وخبرها ولكن المعنى يختلف في كل جملة عنه في الجملة الاخرى.

إن استخدام هذه الوسائل يساعد في انشاء نص متماسك لغوياً ولكن لابد لنا أن نتذكر أنه ليس من الضروري أن نستخدمها جميعاً في كل نص أو حديث، كما أنها قد تختلف من لغة إلى أخرى.

الوحدة الموضوعية **Coherence**

يتصـــف النص الجيد بأنه يتحدث عن موضـــوع واحد، فنجد أن كل جملة فيه تضيف لبنة جديدة إلى الفكرة الرئيسة في النص، فإذا ما قرانا نصاً ووجدنا أنه يطرق موضـــوعاً واحداً وليس مجرد مجموعة من الجمل غير المترابطة نقول حينئذ إنه يحقق معيـار الوحـدة الموضـــوعيـة الـذي يعتبر شـــرطـاً أســـاســـيـاً للنص المقبول. اقرأ النص التـالي وحـاول ان تحـدد الفكرة العـامـة التي يحـاول الكـاتـب أن يوضحها:

نحن طلبة مادة مدخل إلى اللغويات. اللغويات مادة ممتعة، تدرس هذه المادة في جامعات مختلفة. والجامعة الأردنية اكبر جامعة في الأردن. ومادة اللغويات هذه إحدى متطلبات كلية الآداب: تشتمل كلية الآداب على عدة اقسام منها قسم اللغة العربية واللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية وقسم اللغويات والصوتيات.

أما قســم اللغويات فهو قســم جديد تم افتتاحه قبل عامين في الجامعة الأردنية، تقع هذه الجامعة في عاصـمة الاردن عمان وتأسـست عامه 1962، ويتجاوز عدد طلابها الآن عشـرين ألفا ويعمل خريجوها في مجالات مختلفة وفي أقطار مختلفة أيضاً.

نلاحظ أن جمل هذا النص صحيحة من الناحية النحوية والدلالية ولكننا لا نعتبره نصاً مقبولاً لأنه يفتقر إلى الوحدة الموضوعية. إن القارئ للجملة الأولى في هذا النص يتوقع أن الكاتب سـيتحدث عن متطلب معين لطلبة مادة اللغويات أو عن مادة اللغويات نفســـها ولكن الكاتب لم يحقق ذلك، إذ تطرق إلى مادة اللغويات ثم عرج على كلية الاداب وأقسامها وتجول في الجامعة كلها وتحدث عن موقعها وعدد طلابها وخريجيها ولم يطور فكرة واحدة رئيسة في هذه الفقرة.

ولذلك فإن مراعاة هذا المعيار في الكتابة والحديث أمر لابد منه سـواء أكان ذلك في عملية تعلم اللغة الأم أو اللغة الأجنبية.

إن وحدة الموضـــوع في النص لا تتحقق إلا إذا كان لكل جملة من جمل النص دور في تطوير الفكرة الرئيسـة لهذا النص وهذا يعني أن كل جملة تشـكل لبنة أسـاسـية في البناء الواحد.

هيا بنا ندرس النص التالي ونحدد العلاقات بين الجمل لنرى فيما إذا كان النص يحقق شرط الوحدة الموضوعية أم لا.

التلوث بالرصاص يجتاح العالم

(1) عانى الإنسان من التلوث بجميع أشكاله وألوانه. (2) وأصبح التلوث الخطر الداهم على حياة الإنسان والحيوان والنبات. (3) ومن أخطر أنواعه التلوث بالرصاص الذي أصـبح منتشـراً بشـكل كبير في أمريكا وبعض الدول الأخرى. (4) فقد أشـارت دراســـة أمريكية إلى أن الرصـــاص المنطلق في الهواء مع غيره من الملوثات يحدث أضراراً تمتد إلى الأجنة في أرحام الأمهات. (5) وقد يؤدي إلى إضعاف القدرة العقلية للأطفال خلال السنوات الأولى من عمرهم. (6) وقد كشفت هذه الدراسة حقيقة مزعجة

خلاصتها أن هذا الخطر يبرز عند المستويات التي كان العلماء يعتبرونها مأمونة، (7) أي عندما تكون نسبة الرصاص 25 ميكروجرام في كل مائة سم مكعب من الدم. (بتصرف، المجلة الثقافية للجامعة الأردنية، العدد 36، 1995)

إن القارئ لهذه الفقرة يدرك أنها تدور حول موضوع واحد هو التلوث وبخاصة التلوث بالرصاص فالجملة (1) تتحدث عن معاناة الإنسان من التلوث والجملة (2) تعمم خطر التلوث على جميع الكائنات الحية، أما الجملة (3) فتذكر التلوث بالرصاص في أمريكا ثم تأتي الجملة (4) لتوضيح خطر التلوث بالرصاص والجملة (5) تضيف المزيد من المعلومات عن أضرار التلوث بالرصاص وهكذا في الجملتين الاخيرتين (6، 7)

لا نجد في هذه الفقرة جملة غير مناسبة أو خارجة عن الفكرة الرئيسة في الفقرة. ولذلك نقول أن هذا النص يحقق معيار الوحدة الموضوعية التي ينبغي أن يتصف بها النص الجيد.

الفعل الكلامي **Speech act**

نحن نستعمل اللغة لوصف أشياء او أماكن أو أشخاص أو أحداث أو حالات أو انفعالات. فعندما نقول **الطقس حار** فإننا نقوم بوصف حالة الطقس الراهنة وعندما نقول **وضعت الحرب اوزارها** فإننا نصف حالة انتهاء الحرب. ولكن اللغة لا تستعمل دائماً للوصف فحسب بل تستعمل لتحقيق أفعال في واقع الحال فهناك أفعال تقع بمجرد نطق فعلها. فمثلاً اذا أردت ان تشكر احداً على معروف قدمه لك تقول له **أشكرك** وحينئذ تكون قد قمت بفعل الشكر بمجرد نطقك لكلمة **أشكرك**. وإذا أردت أن تقطع على نفسك عهداً أو وعداً فانك تقول **أعدك بأن ....** وتكون بذلك قد قمت بفعل الوعد. وإذا ما أراد شخص أن يطلق زوجته بعد أن استفحل الخلاف بينهما فانه يقول لها **طلقتك** وبذلك يكون فعل الطلاق قد وقع. إن هذه الأفعال التي تتحقق بنطق فعلها أي بمجرد قولها او التلفظ بها تسمى الأفعال الكلامية. وهناك أفعال كلامية أخرى كثيرة كالتهديد والمدح والإطراء والدعوة والنفي أو الرفض والقبول والتذمر أو الشكوى، والتحية والاستئذان والتسمية (تسمية الأشياء) والتعزية والتحدي والاتهام والاعتراف وغيرها. أن جميع هذه الأفعال تتحقق فور تلفظ المتكلم بالفعل المناسب لكل منها، ولذلك تسمى أفعالاً كلامية.

وللفعل الكلامي ثلاثة جوانب هي:

1- الفعل الصوتي Locutionary act

وهو الفعل الفيزيولوجي للتفوه، أي مجموع الأصوات والكلمات التي نسمعها عندما نقول شيئاً له معنى معيناً.

2- أثر الفعل الصوتي على السامع Perlocutionary act

ويعني ذلك أثر القول أو التفوه على السامع. فقد يستجيب السامع لفظياً أو حركياً وقد لا يأبه لما سمع فلا يفعل شيئاً ولا يستطيع المتكلم التحكم في كيفية استجابة السامع.

3- الفعل المقصود من التفوه أو القول Illocutionary act

ويقصد بذلك القيمة الاجتماعية للقول او التفوه، أي كيف يفهم الآخرون القول أو التفوه: هل هو شكر أم تهديد أم سخرية أم اعتذار مثلاً.

سنوضح هذه الجوانب الثلاثة في المثال التالي:

قال أحدهم لآخر: "آسف - لم استطع الحضور لظرف طارئ "

أ- الفعل الصوتي: الجملة التي سمعنا وهي جملة خبرية.

ب- أثر الفعل: قد يقول المستمع: لا بأس أو كنا نحب أن تكون معنا، أو لقد افتقدناك. وقد يهز رأسه دون أن يقول سيئاً.

جـ- الفعل المقصود الذي وقع باللفظ: الاعتذار.

مثال آخر: عندما يقول شخص لصديقه "عظّم الله أجركم"

فانه يكون قد أدى فعل التعزية.

أ- الفعل الصوتي: الجملة التي سمعناها.

ب- أثر الفعل: شكر الله سعيكم، بارك الله فيكم أو الصمت أحياناً.

جـ- الفعل الذي وقع باللفظ: التعزية أو المواساة.

نلاحظ مما سبق أن المقصود من الكلام قد يكون مباشراً أو غير مباشر. يكون المقصود مباشراً عندما نستخدم الكلمة أو الفعل الصريح الذي يدل على هذا الفعل كأن نقول **أشكرك** لتحقيق فعل الشكر **وآسف** للاعتذار و**مبارك نجاحك** للتهنئة وهكذا. والمعنى المباشر هو الذي يتضمنه المعنى الحرفي للعبارة. أما الفعل أو المعنى غير المباشر فهو ما يفهم من العبارة أو القول غير المعنى الحرفي

مثال:

أ- هل تعرف أين مكتب البريد؟

ب- نعم. (قال نعم وتابع سيره.)

إن المعنى المباشر للسؤال (أ) هو الاستفسار ولكن ليس هذا هو المقصود من السؤال. فالسائل لا ينتظر الإجابة بنعم أو لا فقط. إنه في الواقع يطلب من المخاطب أن يرشده إلى مكان مكتب البريد. فالمعنى غير المباشر للسؤال هو الطلب وليس الاستفسار.

اما بالنسبة للمخاطب (ب) فلم يكن متعاونا مع السائل لأنه أدرك السؤال كسؤال ولم يستجيب له كطلب أو انه أراد أن يمزح مع السائل.

يقودنا هذا المثال إلى جانب آخر من جوانب عملية التواصل الشفوي بين الناس يفسر لنا جزءاً كبيراً من كيفية حصول التواصل والتفاهم بين المتخاطبين وهو مبدأ التعاون في الحديث co-operative principle .

مبدأ التعاون في الحديث **Co-operative principle**

يرتكز نجاح التواصل بين المتخاطبين على مبادئ أساسية يعتبرها أطراف الحديث مسلمات. ومن أهم هذه المبادئ مبدأ التعاون في الحديث. كما أسماه الفيلسوف Paul Grice عام 1975.

ويمكن تلخيص هذا المبدأ كما يلي:

"اجعل مساهمتك في الحوار بالقدر الذي يتطلبه الحوار الذي تشترك فيه وفي اللحظة المناسبة".

وقد قسم Grice (1975) هذا المبدأ إلى أربعة أقسام أو شعارات سماها The four maxims هي:

1- **مبدأ النوعية: The maxim of quality**

ويعني هذا المبدأ أن يجعل المتكلم مساهمته في الحوار صحيحة أو صادقة بما يلي:

أ. لا تقل ما تعتقد بأنه غير صحيح.

ب. لا تقل شيئاً لا تستطيع إثباته أو تقديم أدلة على صحته.

يعني هذا المبدأ أن المتكلم لا يستطيع التحدث عن شيء غير متأكد من صحته ولكنه يستطيع أن ينقل أي رسالة يشاء بأي درجة من الصدق أو الصحة شريطة أن يستعمل المفردة الدقيقة والتركيب اللغوي الذي يدل على ما يريد أن يعبر عنه. فمثلاً إذا سأل المعلم أحد الطلبة عن سبب غياب زميل له، يستطيع الطالب أن يقول أن زميله غائب لأنه مريض. و هذا يعني أن الطالب متأكد من ذلك. أما إذا لم يكن متأكدا من السبب فيستطيع القول **لا أدري**، أو **لعلّه مريض** أو **أظنه مريضاً**.

2- **مبدأ الكمية The maxim of quantity**

أ. اجعل مساهمتك في الحديث او الحوار مفيدة من حيث المعلومات التي تقدمها بالدرجة المطلوبة التي تناسب هدف الحوار. فإذا سألك أحد عن الوقت مثلاً فإن المعلومة المطلوبة هي قولك الساعة الآن السابعة أو الثامنة، وإذا أضفت أية معلومات أخرى كأن تقول أنا بخير وأسكن في مدينة ... فإنك ستكون قد خالفت مبدأ الكمية.

3- **مناسبة الحديث للموضوع العام للحوار The maxim of relevance**

يعني هذا المبدأ بإيجاز أن يجعل المتحدث كلامه مناسباً لموضوع الحوار.

4- **الوضوح (كيفية نقل الرسالة الشفوية) The maxim of manner**

أ. تجنب الغموض أو عدم الوضوح في الحديث.
ب. تجنب اللبس (احتمال اكثر من معنى لما تقول).
جـ. أوجز في حديثك.
د. كن منظماً في نقل رسالتك.

توضح الأمثلة التالية كيف يتعاون المتخاطبان في تطبيق هذه المبادئ التي تؤدي مراعاتها إلى تواصل ناجح وفاعل.

1- أ. هيا نذهب لزيارة جارنا خالد.
ب. لا أرى سيارته أمام البيت.

قد يبدو للناظر لهذا الحوار القصير أن المتحدث (ب) غير متعاون في الإجابة أو أنه يريد تغيير موضوع الحديث. ويكون بذلك قد خالف مبدأ مناسبة الحديث للموضوع ومبدأ الكمية أيضاً لأنه لم يقدم المعلومة المطلوبة بالقدر المطلوب. ولكن إذا افترضنا وجود مبدأ التعاون بين المتخاطبين يصبح بوسعنا اعتبار الإجابة (ب) مناسبة لأن المتخاطبين يعرفان أن لخالد سيارة وما دامت هذه السيارة غير موجودة أمام بيته فهو في الغالب غير موجود في البيت وبذلك تكون الإجابة (ب) فاعلة وناجحة في توصيل الجواب المطلوب.

إن افتراض مبدأ التعاون يساعدنا على استنتاج بعض المعاني التي تتجاوز المعنى الحرفي للتفوه أو القول.

2- سأل طالب صديقة بعد خروجهما من الامتحان النهائي لمادة اللغويات:

أ. كيف كان الامتحان؟
ب. لم يكن الامتحان سهلاً ولكن التدريس في أثناء الفصل كان ممتعاً وكانت علامتي في الامتحان الأول جيدة.

نلاحظ أن الطالب (ب) قد خالف في أجابته مبدأ الكمية ومبدأ المناسبة للموضوع، إذ قدم معلومات أكثر مما يلزم للإجابة عن السؤال كما قدم معلومات أخرى لا علاقة لها بالسؤال أيضاً.

وفي ختام الحديث عن مبدأ التعاون في الحديث لابد لنا أن ندرك بأن مراعاة هذه المبادئ والقواعد أمر ضروري للتواصل الفاعل الناجح البعيد عن الغموض واللبس وكثيراً ما تؤدي مخالفة هذه المبادئ أو أحدها إلى حدوث سوء فهم بين المتخاطبين قد ينعكس سلبياً على العلاقات الاجتماعية بين هؤلاء الأشخاص.

إن مراعاة هذه المبادئ لا يكون في الحديث الشفوي فحسب بل لابد من الانتباه اليها في الكتابة أيضاً. فعندما نكتب في موضوع معين ينبغي أن تكون كل جملة أو

معلومة نقدمها بالقدر المطلوب وبالدقة التي نتوقعها، بالإضـــافة إلى كونها مناســـبة للموضوع وواضحة لا لبس فيها ولا غموض.

مبدأ الأدب في الحديث **Politeness**

هذا مبدأ آخر يفترض وجوده في الحديث أثناء التخاطب وقد قســـم اللغوي Robin Lakoff عام 1973 هذا المبدأ إلى شعارات ثلاثة هي:

1. لا تفرض رأيك أو نفسك Don't impose
2. أعط المستمع خياراً للإجابة بالرفض أو القبول Give options
3. أشعر المستمع بالسرور والارتياح Make your receiver feel good

كثيراً ما نلجأ في تخاطبنا مع الآخرين إلى مراعاة هذه المبادئ الثلاثة. فمثلاً عندما يأتي الطالب إلى مكتب استاذه مستفسراً عن شيء ما، فبدلاً من أن يقول: أريد أن أسألك سؤالاً يا استاذ؟ بوسعه ألا يفرض نفسه هكذا كأن يقول: أستاذي... هل يمكن أن اســألك ســؤالاً أو هل تســمح لي بدقيقة من وقتك؟ أنا أعرف أنك مشــغول، أو هل أحضر اليك في وقت آخر إن شئت؟

بهذه الطريقة يكون الطالب قد التزم بمبادئ الأدب في الحديث حيث أنه لم يفرض نفسه وأفسح المجال للأستاذ ان يقول **نعم اسأل ما تريد** أو **بوسعك أن تحضر مرة ثانية**. وفي الوقت ذاته أشعر أستاذه بالارتياح عندما قال له **اعرف انك مشغول.**

قد يحدث احياناً أن يضـــطر المتكلم إلى مخالفة أحد مبادئ التعاون لكي يحافظ على مستوى معين من الأدب مع الطرف الأخر. فإذا دعيت إلى حضور حفلة في بيت صـديقك وعلمت أنه سـيحضـر هذه الحفلة أشـخاص لا تريد الاجتماع بهم لسـبب أو لآخر، فلم تذهب إلى الحفلة، وعندما سألك صديقك عن سبب عدم حضورك لم ترد أن تحرجه بقول الحقيقة فقلت له **حدث أمر طارئ فلم أســتطع الحضــور وأرجو أن تقبل اعتذاري** فانك تكون بذلك قد خالفت مبدأ النوعية، حيث أنك جانبت الحقيقة والصـــدق ولكن في سبيل التأدب وعدم إحراج الآخرين.

وقبل أن نختم هذا الفصــل لا بد من الإشــارة إلى أن هناك قضــايا كثيرة اخرى تندرج تحت موضــوع تحليل الخطاب واســتخدام اللغة مثل اســتراتيجيات بدء الحديث وإنهائه وكيفية أخذ الأدوار اثناء التخاطب وكيفية إصلاح الخطأ الشفوي عندما يحدث وغيرها من الظواهر التي لا يتسع المجال هنا للتفصيل فيها، بل نتركها مفتوحة للتفكير والنقاش.

أسئلة وتمـارين

1- ما هي دوافع توسيع نطاق الدرس اللغوي ليتجاوز مستوى الجملة إلى النص؟
2- عرف تحليل الخطاب.
3- وضح كيف يكون الحذف وسيلة من وسائل التماسك اللغوي.
4- ما الفرق بين التماسك اللغوي والوحدة الموضوعية؟
5- فرق بين الجوانب الثلاثة للفعل الكلامي.
6- اختر فقرة من نص عربي أو إنجليزي وحدد فيه وسائل التماسك اللغوي.